رحلة أولياء الله

في مصر المحروسة



سعيد أبو العينين

مطبوعات مايو

المدير العام :

علوى عامر

■ دار مايو الوطنية للنشر ■
١٦ شارع المنتزة ـ الزمالك ـ القاهرة
ت : ٣٤٠٩٩٠٠ / ٣٤٠٩٩٠٧ / ٣٤٠٩٩٠٩
ص . ب : ١٢٥ الجيزة Fax : 3409046

رحلة أولياء الله

فى

مصر المحروسة

سعيد أبو العينين

الغـلاف بريشـة الفنـان :

مصـطفى حسـين

الإخـراج الفـنى :

مجـدى حجـازى

■■ تقـــــديم ■■

●● انها دولة قائمة بذاتها!

دولة أولياء الله فى مصر.

وهى دولة لها زعاماتها الروحية، ولها رعاياها الذين يقدرون بالملايين، من الأتباع والمريدين.

دولة لها أعلامـها، وأناشيدها، وتعاليـمها، وأورادها، وعـهـودها التى يـلتـزم بهـا كل من يدخل دائرتـهـا، ويحـفظها لشيوخها.

فشيوخ هذه الدولة هم مـوضع الاجلال والاكبار والتكريم من عامة الأتباع والمريدين.

والشـيخ هو المرشد، والمعلم، والدلـيل الذى يأخذ بيـد تلميـذه ومريده فى طريق الحقيقة.. الطريق إلى الله.

●●●

●● والسؤال: من هو «الولى»؟

وقـد طرح السـؤال على العلمـاء والفـقـهاء الذيـن قـدمـوا اجتهاداتهم.

●● قـالـوا: ان «الولى» هو من «والى» اللـه بالطاعـات.. فـإذا «واليت» الله بالطاعة، فأنت «ولى»، ويكون الله وليا لك، أى يتولاك بالرعاية والعناية لقوله تعالى:

«الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور».

●● وقالوا: الولى هو «العارف بالله»، المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات.

●● وقالـوا: الولى هو ممن قال عنهم الرسـول الكريم: «إن من عباد الله عبـادا ما هم أنبياء ولا شـهداء يغبطهم الأنبـياء والشـهداء يوم القيامة لمكانتهم من الله.

قالوا: يارسول الله أخبرنا من هم؟ وما أعمالهم فلعلنا نحبهم؟

قال: هم قوم تحابوا فى الله على غـير أرحام بينهم، ولا أموال يتعـاطونها، فـوالله ان وجوههـم لنور، وانهم على منابر من نور، ولا يخافون اذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس».

●● وقالوا: ان اسـم «الولى» مأخوذ من قوله تعالى:

«ألا إن أولياء الله لا خـوف عليهم ولا هم يحـزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فـى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم».

●● و«الولى» فى اللغة هو «القريب».. فإذا كـان العبد قريبا من الله بكثرة طاعاته، وباخلاصه، كان الله قريبا منه برحمته و فضله واحسـانه.

●● وهنا نتذكر قوله تعالى:

«الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور».

وقوله تعالى:

« وهو يتولى الصـالحين».

وقوله تعالى:

«أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين».

وقوله تعالى:

«ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم».

وقوله تعالى:

«إنما وليكم الله ورسوله».

●● فالولاية لله هى مقام قرب، وأفق سر، ومنزلة نور، ودرجة رضوان، يبلغها العبد بفضل من الله ورحمة.

●● قال بعضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.. إننا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوجدتموه» قالوا نعم، قال: «ذلك صريح الايمان» ذلك هو النور الذى يرون به ما وراء عالم الحس، وذلك هو الفيض الذى يكشفون به من أسرار الملأ الأعلى.

●● وفى حديث عن سيدنا عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: بينما نحن نمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل شاب من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف أصبحت يا حارثة» فقال: أصبحت مؤمنا بالله حقا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لكل قول حقيقة فأنظر حقيقة ما تقول» فقال حارثة: «عزفت نفسى عن الدنيا حتى استوى عندى ذهبها ومدرها و لذلك سهرت ليلى واظمأت نهارى، وكأننى أرى أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يعذبون، وكأننى أرى عرش ربى بارزا» فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عرفت فالزم» ثم انصرف حارثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رجل نور الله قلبه بنور الايمان».

●● ونذكر سر «الولاية» فى سيدنا عمر حين قال وهو على المنبر فى المدينة «الجبل يا سارية».

وكان سيدنا سارية بن حصن يقود جيش المسلمين فى

خراسان، وسمعوا الصوت واعتصموا بالجبل.

وسماع الصوت «ولاية» كذلك في سيدنا سارية وفي المؤمنين في الجيش.

●● والأولياء البررة، والورثة الهداة، يستمدون النور والتذكرة من مشكاة الرسالة، ومرقاة النبوة، تنصب في قلوبهم المعارف الالهية، وتنبعث فيهم الأسرار الربانية، وتنثال عليهم الفيوضات اللدنية.

فهم يبصرون بنور الله.

ويسمعون بسر الله.

ويبطشون بيد الله.

وهم يزجون بنورهم الإلهي وفيضهم الرباني في قلوب الذين يبايعون الله.

●● وفي مصر المحروسة.

مصر كنانة الله في أرضه.

مصر التي فضلها الله على سائر البلدان، وذكرها في القرآن.

مصر التي أوصى بها النبي أصحابه، وامتدحها في أحاديثه الشريفة.

مصر التي كانت قبلة الأنبياء والمرسلين.

في مصر جماعة من أولياء الله، هم في مكانة الأقطاب.

لهم تاريخهم، وجهادهم الطويل.

فقد جاهدوا النفس عن الهوى.

وجاهدوا أعداء الله، أعداء الوطن، وتصدوا لهم، وقاتلوهم، وحرضوا على قتالهم.

●● لقد خرج أحدهم، وكان قد جاوز الثمانين، لقتال الملك

لويس التـاسـع وجنـوده الغـزاة فى المنصـورة، وأخـذ ينادى فى الناس «حى على الجـهـاد» دفـاعا عن الاسـلام، وديار الاسـلام، وحتى لا تسقط راية الاسلام.

●● وواجه أحدهم الخليفة الحاكم الذى استبد به الهوى. وكتب له يقول: اذا أحببت فاعدل، وان كرهت فأذكر الله!

●● ورفض أحدهـم قبول منصـب شيخ الاسلام، وعنـدما ألح عليـه السلطان الظاهر بيـبـرس، كـان شرطه لقـبـول المنصب ألا يتقاضى عنه أجرا!

●● وهذا الكتاب يحكى عن هؤلاء الأقطاب، أولياء الله فى مصر المحروسـة.. وعن رحلتهم الطويلة، التى حـملوا فيهـا راية الدعوة إلى الهداية، ومعـرفة الطريق إلى الله، وبسطوا زعامتـهم الروحية على الملايين من الأتباع والمريدين والمحبين.

عن سيدى أحمد البدوى.

وسيدى أبو الحسن الشاذلى

وسيدى ابراهيم الدسوقى

وسيـدى أحمد الـرفاعى، وحفـيده الرفاعى الصـغيـر، رفاعى مصر.

●● عن الرحلة النقية، الحقيقية، بعيدا عن الأساطير والافتراءات والخرافـات التى اصطنعها بعض الأتبـاع من أجل التكسب وجمع المال، واستـغلها دعاة الضلال فى الاسـاءة إليهم، والتشـهـير بهم، وبما يمثلونه من دعوة نبيلة.

●● كان لكل منهم طريقته وطريقه.

والطريقـة هى «المنهج» الذى يتبـعه الشـيخ فى تربية تلامـيذه ومريديه.

ويقال الطريقة بمعنى السيرة.. سيرة السالكين إلى الله تعالى، أى المسافرين إلى الله.

والطريق، فى عرفهم، هو سبيل السفر إلى الله.

●● وبهذه المعانى وردت كلمة الطريق والطريقة فى القرآن الكريم:

قال تعالى: «وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا».

وقال تعالى: «ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا».

وقال تعالى: مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم».

●● ورغم تعدد الطرق والطريقة، فهم يلتقون جميعا عند غاية واحدة، وهدف واحد، هو الدعوة إلى الهداية، ومعرفة الطريق إلى الله، والتمسك بالكتاب والسنة المطهرة.

ويهمنا أن نقول، إننا لا نؤرخ لهؤلاء الأقطاب، وإنما نحكى وقائع تلك الرحلة الطويلة، المثيرة، لهؤلاء الأقطاب..

رحلة أولياء الله.

سعيد أبو العينين

رحلة أولياء الله
في
مصر المحروسة

١

رحلة سيدى أحمد البدوى

صاحب العمامة الحمراء

لماذا جاء من مكة .. واختار طنطا ؟

ماهى أوصاف سيدى أحمد .. وما معنى انتصاره على فاطمة ؟

الخديو إسماعيل يقيم وليمة في المولد .. والدخول لمن يدفع أكثر ؟

نابليون .. ولماذا فكر فى زيارة البدوى ؟

كان فى نية نابليون، قبل أن يغادر مصر، أن يزور سيدى أحمد البدوى!

هكذا قال الجنرال «مينو» لشيوخ مصر وعلمائها، وهو يحكى لهم عن نابليون.. وهكذا كتب مؤرخنا الجبرتى!

وعندما توفيت زوجة السلطان خشقدم، كانت وصيتها أن يغطوا النعش «بالخرقة الحمراء» وأن يتقدم الجنازة حاملوا البيارق الحمراء، رمز الطريقة الأحمدية، باعتبارها واحدة من أتباع سيدى أحمد البدوى!

وعملوا بالوصية.. وهكذا كتب ابن اياس!

وليست زوجة السلطان خشقدم فقط، فمعظم سلاطين المماليك كانوا يعتقدون فى ولاية سيدى أحمد، ويسعون لنيل البركات!

وليس سلاطين المماليك فقط، فكل حكام مصر، وعبر كل العصور، منذ جاء السيد البدوى إلى مصر وحتى الآن، يحرصون على الاهتمام بزعاية مقامه والعناية بمسجده، وهو ما يعكس تأثيره الواسع والعميق داخل المجتمع المصرى!

وعندما أراد مجلس شورى النواب أن يعقد جلسة طارئة فى صيف سنة ١٨٧٦ ميلادية، خشيت الحكومة من عدم حضور الأعضاء لانشغالهم بحضور المولد! فعقدوا الجلسة هناك، فى طنطا، فى رحاب سيدى أحمد، ووسط المولد! وهكذا قال عبدالرحمن الرافعى.

وعندما أراد الخديو اسماعيل أن يجمع أكبر مبلغ من المال من أعيان مصر، لم يجد فرصة أفضل من مولد البدوى! فأقام وليمة هناك، وجعل حضورها لمن يدفع، والجلوس على مقربة منه لمن يدفع أكثر!

والحكايات كثيرة. وكلها توضح المكانة الكبيرة لسيدى أحمد البدوى فى قلوب المصريين والحكام، سواء فى حياته أو بعد مماته.

ومن هنا يأتى السؤال: من هو السيد البدوى؟

من أين جاء؟

كيف كانت رحلته إلى مصر، وفى مصر؟

ولماذا اختار طنطا بالذات، واتخذها موطنا ومقاما، وأخذ يربى فيها الرجال الذين تصدوا للحملة الصليبية، وقاتلوها، وأسروا قائدها الملك لويس التاسع؟

وكيف استطاع، خلال أربعين سنة، أن يبسط زعامته الروحية على ملايين الأتباع والمريدين، على نحو لم يشهده قبله، ولا بعده، أحد من الأولياء فى مصر؟

لكن السؤال الذى يسبق كل تلك الأسئلة هو: ماذا كانت أوصاف السيد البدوى؟ ذلك الفتى الذى وفد على مصر قبل ثمانية قرون، ليشغل الناس فى حياته وبعد مماته، بشخصه، وبطريقته، وأتباعه ومريديه، الذين انتشروا فى مصر والعالم العربى والعالم الاسلامى، يحفظون له العهد، ويلتزمون بتعاليمه ووصاياه، ويرفعون البيارق والزايات الحمر، رمزا للطريقة الأحمدية التى أسسها زعيمهم الروحى؟

نعم، ماذا كانت أوصاف سيدى أحمد؟

فى كتابه «الجواهر السنية» وصف الشيخ عبدالصمد صورة

السيد البدوى فقال: كان طويلا، قمحي اللون، كبير الوجه، أكحل العينين، عظيم الوجنتين، طويل الذراعين، غليظ الساقين.. وكان فى وجهه ثلاث نقط من أثر الجدرى، واحدة فى خده الأيمن واثنتان فى الأيسر.. وكان أقنى الأنف، وعلى أنفه شامتان، فى كل ناحية شامة أصغر من العدسة.. وكان بين عينيه جرح موسي، جرحه به و لد أخيه حين كان بمكة فى طفولته.

تلك كانت صورة قطب الأقطاب فى مصر.. وهى نفس الأوصاف التى أوردها الشعرانى فى كتابه الطبقات الكبرى لمؤسس الطريقة الأحمدية.

ويأتى الحديث عن النشأة والجذور..

ونعرف أن السيد البدوى ولد فى زقاق الحجر بمدينة فاس بالمغرب الأقصى، حيث قامت «دولة المرابطين». كأول خطوط الدفاع عن العالم الاسلامى بعد سقوط الأندلس، وحيث كان التصوف هو أساس قيام تلك الدولة.

كان ميلاد السيد البدوى عام ٥٩٦ هجرية ـ ١١٩٩ ميلادية.

ويجمع المؤرخون أنه كان أصغر سبعة من الاخوة والأخوات وهم : الحسن ومحمد وفاطمة وزينب ورقية وفضة.

كان والده هو السيد على البدوى.. الشريف العلوى.. أما أمه فهى السيدة فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عبدالله، التى يتصل نسبها أيضا بالحسين بن الامام على بن أبى طالب.. هو اذن واحد من الذين انحدروا من أشرف البيوت العربية.. وأجلها قدرا.

وكانت الأسرة قد هاجرت من مكة إلى المغرب، فرارا من ظلم الحجاج الثقفى، واستقرت فى مدينة فاس.. وقيل أن ذلك كان عام ثلاث وسبعين من الهجرة، وظلت الأسرة تستوطن بلاد المغرب طوال أكثر من خمسة قرون.. إلى عام ٦٠٣ من الهجرة عندما

قررت العودة مرة أخرى إلى وطنها الأول: إلى مكة المكرمة.

كان السيد البدوى صبيا فى السابعة من عمره، وقت ان بدأت الأسرة رحلة العودة.. من زقاق الحجر بمدينة فاس إلى مكة.. وكانت الرحلة طويلة وشاقة.. وقيل انها استغرقت أربع سنوات.. وقيل خمس.. وقيل سبع.. لكن المرجح انها خمسة أعوام فقط.. وقيل أن الأسرة وهى فى طريق العودة إلى مكة نزلت بمصر.. ومكثت عامين.. تنقلت خلالهما ما بين الاسكندرية والعريش، قبل أن تواصل رحلتها.

كان ذلك فى عهد الملك العادل سيف الدين شقيق صلاح الدين الأيوبى.

ووصلت الأسرة إلى الحجاز.. وكان استقبالها حافلا هناك..

كان السيد البدوى قد بلغ الثانية عشرة يوم حطت الأسرة رحالها واستقرت بالحجاز.. وكان قد أتم حفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ السابعة.. وأخذ يتفقه فى الدين.. ويصحب والده وأخوته إلى مجالس العلم، يسمع ويستوعب ويحفظ كل ما يقال أمامه.. وتعلم القراءات السبع.. وتفقه على مذهب الإمام مالك أولا.. ومال إلى الزهد واشتهر وهو صغير بالشيخ أحمد الزاهد.. ثم أتم دراسته فى الشريعة على مذهب الإمام الشافعى وظل شافعيا حتى نهاية العمر.

ويذكر المؤرخون أن شقيقه الأكبر الحسن قد نهض بالعبء فى تثقيفه.. وأنه تعلم فنون الفروسية فى تلك المرحلة المبكرة، ويؤثر عن شقيقه قوله: انه لم يكن فى مكة والمدينة من الفرسان من هو أشجع ولا أفرس من السيد البدوى..

وعكف البدوى على العبادة.. وبدأ فى اعتزال الناس.. وايثار الانفراد..

ثم حدث ما جعله يزداد اعتزالا واعتكافا وتعبدا..

فقد مات والده.. ومن بعده أخوه محمد.

كان موت والده فى عام ٦٢٧ هجرية، وكان موت أخيه فى عام ٦٣١ ودفنا بباب المعلاة قريبا من مكة.

ولم يعد من الأسرة رجال سوى السيد البدوى.. وشقيقه الأكبر الحسن.

●●●

وتأتى الرحلة إلى العراق..

إلى المدرسة التى تخرج فيها كبار المتصوفة.. إلى الأرض التى أنبتت أعلام التصوف.. إلى ساحة الأقطاب الذين حملوا رايات الطريق..

كان السيد البدوى متشوقا إلى معرفة المزيد من علوم الدعاة الكبار.. والوقوف على اتجاهات الأعلام والأقطاب فى ميدان الدعوة الصوفية.

فهناك الصوفى الجليل ابن عرب، التلميذ الأول للإمام أحمد الرفاعى.. وهناك مشايخ الطرق الصوفية على اختلافها.. وهناك أضرحة وقبور الأعلام والأقطاب.

هناك ضريح الحلاج.. وضريح عدى بن مسافر..

وهناك قبر أحمد الرفاعى شيخ الطريقة الرفاعية.

وهناك قبر عبدالقادر الجيلانى شيخ الطريقة القادرية الجيلانية.

واشتد شوق الرحلة إلى العراق بالسيد البدوى.. وبدأ يرى فى المنام الرفاعى والجيلانى.. وهما يدعوانه لزيارتهما فى العراق..

وطلب من شقيقه الحسن أن يصحبه إلى العراق.. لكن أخاه لم يكن يريد تلك الرحلة، وأخذ يوضح له الأسباب كى يقتنع ويصرف النظر عنها.

لكن السيد البدوى كان قد أصر على الرحلة، وراح يكرر ضنب إلى أخيه بأن يصحبه فيها خاصة بعد أن تكررت الرؤيا، والرؤيا فى حياة المتصوفة هى بمثابة ارشاد.

ووافق أخوه الحسن على أن يصحبه إلى العراق.

●●●

شد السيد البدوى رحاله إلى العراق سنة ٦٣٤ هجرية يصحبه شقيقه الحسن.

كانت بغداد هى الوجهة الأولى للسيد البدوى.. وكانت هى قاعدة الخلافة العباسية فى ذلك الوقت.

وفى بغداد زار قبر الحسن بن منصور الحلاج، وضريح الشيخ عبدالقادر الجيلانى.. ثم توجه إلى الكاظمية لزيارة مقابر الشيعة وعلى رأسهم موسى الكاظم بن جعفر الصادق.

ومن بغداد اتجه إلى الجنوب الشرقى حيث وادى قوسان وبه مقام الشيخ أبو الوفاء وهو من كبار الأولياء فى تلك الناحية.. وبات فى الضريح هو وشقيقه.. وفى هذه الليلة رأى السيد البدوى فى المنام الإمام الرفاعى الذى طلب منه أن يزور كل الصالحين ثم يأتى إليه.

ونفذ السيد البدوى كلام الإمام الرفاعى.. زار كل الصالحين.. ثم توجه إلى بلدة «أم عبيدة» حيث ضريح الإمام الرفاعى.

●●●

كانت «أم عبيدة» هى مركز الطريقة الرفاعية.. فالخيام منصوبة، والأعلام مرفوعة.. والصوفية يصومون النهار ويقيمون الليل.

وتوجه السيد البدوى إلى ضريح الإمام الرفاعى.. وقضى فيه ثلاثة أيام.. فى الليلة الأولى رأى السيد البدوى فى المنام الإمام

الرفاعى وقد جاء يطلب منه القيام بمهمة وهى أن يذهب إلى فاطمة بنت برى وهى امرأة ذات مال وجمال وأن يؤدبها حتى تكف عن سلب الرجال من أرباب الأحوال..

وقد شغلت هذه الحكاية أو هذه المهمة التى قام بها السيد البدوى كل الذين تناولوا سيرة حياته، وتوقفوا عندها طويلا، وفسروها كل على هواه. وحملوها معانى كثيرة، بل انها كانت مصدر إلهام ورؤى لبعض كتاب المسرح العربى لما تتضمنه من رموز ومعان عديدة.

قام السيد البدوى بالمهمة التى انتهت باعتذار فاطمة بنت برى، وقبل السيد البدوى اعتذارها وقيل أن فاطمة بنت برى طلبت من السيد البدوى أن يتزوجها لكنه اعتذر فى رفق وطيب خاطرها.

وعاد السيد البدوى بعد ذلك إلى مكة.

● ويرى بعض المؤرخين لسيرة السيد البدوى أن قصة فاطمة بنت برى قد دخلها كثير من التحريف والتلفيق. إلا أن ملابساتها توحى بأنها ترجع إلى أصل صحيح، وأن هذا الأصل يتصل بحياة السيد البدوى الصوفية، فمن المعروف أن السيد البدوى لم يتزوج، فإذا علمنا أن هذه القصة قد وقعت له وهو فى العراق يدرس ويهيىء نفسه لحياة التصوف، وأن الشيخ أحمد الرفاعى هو الذى هتف به فى المنام لمواجهة تلك المرأة التى أخذت بألباب الرجال من قبل، فمن الممكن أن نفسر تلك القصة بأنها كانت امتحانا للسيد البدوى لمعرفة مدى صبره على المرأة وتغلبه على تلك القوة القاهرة وهو لايزال فى مقام الاستعداد لحياة التصوف الكاملة، ومن المعروف أن الشيوخ كانوا يتخذون فى تربية المريدين أساليب الامتحان لمعرفة قدرتهم واختبار صبرهم على حياة التجرد والتهوض بما يحملون من التعاليم والدعوات.

● وهناك من يرى أن القصة لها دلالات ومعانى اخرى، وان فاطمة بنت برى تمثل الدنيا وزخرفها فى طريق المتصوف، وأن الذى يضعف فى مواجهتها ويسقط فى حبائلها لا يصح له أن يمضى فى ذلك الطريق.

● ونعود إلى سياق الحديث.

● نعود إلى السيد البدوى مع عودته إلى مكة، وما جرى بعدها.

الرحلة إلى مصر.. ولماذا اختار طنطا؟

فى مكة أمعن السيد البدوى فىٓ حياة الزهد، وأخذ يكثر من القيام بالليل والصوم بالنهار.. إلى أن جاءت تلك الرؤيا.. التى تكررت ثلاث مرات.. وفى كل مرة كان الهاتف يناديه فى المنام.. ويأمره بأن يشد الرحال.. إلى مصر.. وأن يقصد تلك البلدة التى حددها له.

كان خطاب الهاتف يقول له فى كلمات: سر إلى «طندتا» فإنك تقيم بها، وتربى رجالا وأبطالا.

وكانت «طندتا» هى طنطا.

كانت طنطا قبل الفتح الاسلامى قرية صغيرة تعرف باسم «طنتثا» ثم حرف الاسم إلى «طندتا» وفى عهد الحملة الفرنسية على مصر عرفت باسم «طنط» وكانت تابعة لاقليم المنوفية، ثم اشتهرت باسم طنطا فى عهد محمد على وصارت عاصمة الغربية.

ويوم جاءها السيد البدوى قادما من مكة كان اسمها «طندتا» وكانت قرية صغيرة.

لكن السؤال: لماذا حدد الهاتف طنطا بالذات؟ لكى يرحل إليها السيد البدوى، تلك القرية الصغيرة فى وسط الدلتا ليتخذها مقاما.. ويؤسس فيها دعوته الصوفية، ويربى فيها رجالا

وأبطالا.. كما قال له الهاتف الذى جاءه فى المنام؟

لماذا لم تكن القاهرة؟ أو الاسكندرية؟ أو أية بلدة أخرى فى صعيد مصر؟

الأسباب التى يوردها الذين كتبوا سيرة السيد البدوى كثيرة.. وهى تختلف باختلاف رؤية الكاتب.

فالأتباع والمريدون يرون أن طنطا قد خصصت للسيد البدوى، وأنه قد شد الرحال إليها بناء على التوجيه الذى جاءه فى المنام.. وتحددت له كمقام، وتحددت له مهمته فيها، وهى أن يربى رجالا وأبطالا.. وهؤلاء الرجال والأبطال هم الذين شاركوا فى قتال الحملة الصليبية والتصدى لها، وهم الذين أسروا لويس التاسع فى المنصورة فى عام ٦٤٧ هجرية وكان ذلك بعد وصول السيد البدوى إلى طنطا بعشر سنوات.. وان الأغنية الشعبية التى تقول: الله.. الله يابدوى جاب اليسرى.. هى تعبير عن دور السيد البدوى ومساهمته في فك أسر المسلمين الذين أسرهم الصليبيون واحضارهم لذويهم.

وقالوا أيضا ان طنطا كانت موقعا تنطلق منه دعوة التبشير ويتحصن فيه بعض المبشرين.

وقالوا: ان «سيدى سالم» صاحب المقام الذى يقع أمام مسجد السيد البدوى، كان من علماء طنطا المشهورين، وفى كل مرة ذهب فيها إلى الحج، كان يعود ويقول لتلاميذه انه التقى بالسيد البدوى فى مكة.. وانه وجه إليه الدعوة ليأتى ويقيم فى طنطا.. ولم يكن «سيدى سالم» وحده الذى فتلح السيد البدوى فى الحضور والاقامة في طنطا.. فكثيرون غيره، التقوا به فى موسم الحج أيضا.. وقدموا له الدعوة ورجوه قبولها.

أما المؤرخون من غير الأتباع والمريدين فقالوا: ان السيد

البدوى فعل ما فعله غيره من شيوخ الصوفية وأعلامها الكبار الذين وفدوا إلى مصر.. مثل عبدالرحيم القنائى وأبو الحسن الشاذلى وأبو العباس المرسى.. فكل هؤلاء جاءوا إلى مصر.. وحرصوا على أن يتخذوا مواقع لنشاطهم الدينى والروحى، بعيدا عن القاهرة.. ادراكا منهم بأن القاهرة هى مركز نفوذ أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم.. ففيها رأس الحسين والسيدة زينب.. والسيدة عائشة والسيدة نفيسة.. والسيدة سكينة، والسيدة رقية، وزين العابدين.. وقد صارت أضرحتهم مزارات تنجذب إليها نفوس وقلوب كل المقيمين والوافدين إلى القاهرة.

وقالوا: ان السيد البدوى لم يذهب إلى الاسكندرية لأن الاسكندرية فى ذلك الوقت كانت تحت رقابة وعيون حكام البلاد الأيوبيين، وتحسبا لغارات الصليبيين ورصدا لأية تحركات يكون هدفها استرجاع سلطان الفاطميين.. وعلاقة السيد البدوى بالمغرب وصلته بها هو وأسرته معروفة.. والمغرب كان هو الموطن الأول للدعوة الفاطمية.. وان ابتعاد البدوى عن الاسكندرية كان من الفطنة والذكاء.. حتى لا يكون موضع ارتياب ورصد من عيون الحكام الأيوبيين فى الاسكندرية عندما يبدأ فى نشر دعوته الصوفية وتجميع الأتباع والمريدين.

●●●

وكانت أول دار نزل بها السيد البدوى فى طنطا هى دار الشيخ ركين الدين.. وفى هذه الدار قضى السيد البدوى نحن اثنى عشر عاما.. ولما مات الشيخ ركين الدين.. انتقل السيد البدوى إلى دار أخرى مجاورة هى دار ابن شحيط، وكانت تقع على سفح تل عال، وظل بها ٣٦ سنة، أى بقية حياته.

وبعض الذين كتبوا سيرة السيد البدوى قالوا: إن الشيخ

ركين الدين هو نفسه «ابن شحيط» وان ابن شحيط كان شيخا للبلد، وكان على جانب كبير من الجاه والنفوذ، وكانت له تجارة رابحة.. وانه كان أحد الذين تعرفوا بالسيد البدوى فى موسم الحج.. وأحد الذين دعوه للحضور والاقامة فى طنطا.

وقالوا: ان السيد البدوى قد طلب من الشيخ ركين الدين أو ابن شحيط أن يتركه يقيم فوق السطوح فهو يحب أن يتطلع فى كل وقت إلى السماء والنجوم والقمر والشمس وأن يتأمل صنع الله، ويذكره فى كل حين، ويسبح بحمده، ليلا ونهارا.. وترك له ابن شحيط حرية الاقامة حيث شاء.

أقام السيد البدوى فوق سطح الدار.. وأخذ المريدون والأتباع يتوافدون عليه.. ويلتقون به على السطوح.. ومن هنا جاءت التسمية «بالسطوحية».. وسرعان ما تكاثروا.

ويذكر المؤرخون أن السيد البدوى قد استطاع خلال شهور قليلة أن يجمع من حوله أربعين شيخا من المريدين والأتباع الذين اختصهم بالقرب منه، وسمح لهم بالصعود إلى حيث كان يجلس على السطح.. وكان على رأس هؤلاء المريدين الشيخ عبدالعال الفيشاوى أو الأنصارى، وهو من بلدة «فيشا المنارة» احدى ضواحى طنطا.. وكلف السيد البدوى هؤلاء الشيوخ الأربعين بأن يتوزعوا فى أنحاء البلاد.. وأن يقوموا بنشر دعوته الصوفية.. والأسس التى تقوم عليها «الطريقة الأحمدية» ـ نسبة إلى السيد أحمد البدوى ـ وأن يجمعوا الأنصار من حولها.. وأن يلتزموا بتعاليمه ووصاياه.. وهى التمسك بالكتاب والسنة، وقيام الليل، والأخذ بالذكر، والوجد، والصبر، والزهد، والتوبة، والابتعاد عن شهوات الدنيا والحث على الشفقة باليتيم، واكرام الغريب، وستر

العريان، وعـدم الانكار على فقراء المسلمـين.. وهم الصوفية كـما كان يطلق عليهم.

وكل تلك التـعـاليم قـد أوردتهـا عديد من الكـتب التى تناولت سيرة السيد البـدوى وأفاضت فى الحديث عنها.. ولم تقف الدعوة إلى «الطريقة الأحمدية» عند حدود الديار المصرية.

فقد بعث السيد البدوى بالدعاة إلى الشام، بل وإلى مكة نفسها.

●●●

قاضى القضاة.. وامتحان البدوى!

كانت دعـوة السيـد البدوى قد بدأت فى الانتـشار فى مـصر.. وكان طبيعيا أن تستـرعى انتباه الحاكم.. وأن تصله أخبارها وأن ترتفع من حول السيـد البدوى، وشـخصيتـه وحقيقته، ومـقاصده ومراميه العديد من علامات الاستفهام.

وبدأت عيون الحكام ترصده.. وتتابع حلقات دروسه، وما يقال فيها.. ونشـاط رجاله، وتحركاتهم فى نشر دعوته..

وكان حـاكم مصر فى ذلك الوقت هو الملـك الصالح نجم الدين أيوب.. فكلف قاضى القضاة وهو الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد أن يتقصى الأمر.. وأن يعرف حقيقة السيد البدوى.. فطلب قاضى القضاة بدوره من الشـيخ الفقيه عبـدالعزيز الدرينى أن يذهب إلى طنطا.. وأن يلتقى بالسـيد البدوى.. وأن يقـوم بامتحانه.. لمعـرفة حقيقته.

وتوجه الشيخ الفقيه عبدالعزيز الدرينى إلى طنطا، وقابل السيد البدوى.. وأجرى له الامتحان.. وسـأله فى بعض المسائل الفقهية.. فأجـابه عنها بأحسن جـواب.. هكذا قالت كـتب السيرة الأحـمدية فعظم فى عينه واعتذر له.

وعاد الشـيخ الفقـيه عـبدالعزيـز الدرينى إلى قاضى القـضاة

يخبره بما جرى بينه وبين السيد البدوى.. وقال له: انه بحر لا يدرك له قرار!

ولكن قاضى القضاة الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد.. أراد أن يستوثق بنفسه.. فسافر إلى طنطا، وقابل السيد البدوى.. فعرف قدره.. واعتذر له بدوره.

وقد أوردت كتب المناقب والطبقات تفاصيل ما جرى فى اللقاء بين السيد البدوى وقاضى القضاة الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد.. وأجمعوا على رواية رواها الإمام الشعرانى أيضا وهى أن السيد البدوى قال لقاضى القضاة قبل أن ينصرف: لا تنس أن تصحح نسخة القرآن الكريم الموجودة فى بيتك.. وحدد له المكان.. وحدد له الصفحة، وحدد له الخطأ الموجود..

ولما عاد قاضى القضاة.. وتصفح المصحف.. وتوقف عند الصفحة التى حددها السيد البدوى.. وجد الخطأ الذى قال عنه السيد البدوى!

●●●

ذاع صيت السيد البدوى أكثر بعد حكاية الامتحان الذى أجراه له قاضى القضاة الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد، والشيخ الفقيه عبدالعزيز الدرينى، واعترافهما بعلمه وتبحره، واعتذارهما له.

وشاعت كرامات السيد البدوى، وتناقلها الأتباع والمريدون.

وانتشرت الطريقة الأحمدية على نطاق واسع..

وبسطت الزعامة الروحية للسيد البدوى نفوذها على ملايين الأتباع والمريدين، وعلى نحو لم يشهده قبله - ولا بعده أيضا - أحد من الأولياء فى مصر.

●●●

● كان للدعاة الأربعين الذين اختارهم السيد البدوى.. ووجههم

إلى مختلف المواقع فى أنحاء البلاد.. ليقيموا فيها، فعملوا على نشر دعوته، دورهم الكبير.. ولم يكن هناك موقع يخلو من واحد أو أكثر من شيوخ الطريقة.. ومقابر هؤلاء وأضرحتهم، لاتزال قائمة للآن، ولايزال الأتباع والمريدون على عهدهم لأولئك الشيوخ، الذين اشتهروا بالمواقع التى اختصوا بها، هناك الشيخ اسماعيل الامبابى بامبابة، والشيخ المعلوف بالقليوبية والشيخ الشناوى بشنوى، والشيخ يوسف البرلسى ببرلس، والشيخ سعدونى ببلبيس والشيخ محمد الصناديدى والشيخ أحمد أبو طرطور بأوسيم بالجيزة، والشيخ أرغل بن أحمد بأبو تيج والشيخ المخدوب بأسيوط.. والشيخ صعيب الوراق بالمحلة الكبرى.. والقائمة طويلة.

وتضم القائمة أيضا أسماء الشيوخ الدعاة الذين وجههم السيد البدوى إلى البلاد العربية.. ففى بعلبك هناك الشيخ على البعلبكى وفى الشام هناك الشيخ خليل الشامى، وفى اليمن هناك الشيخ على الكيروانى والشيخ أحمد علوان، وفى العراق هناك الشيخ عزالدين الموصلى، وفى مكة هناك الشيخ بشير.

● وكانت الشعارات أو الشارات المميزة للطريقة الأحمدية، التى التزم بها الشيوخ والأتباع والمريدون هى اللثام، وخرقة التصوف الحمراء وكذلك العلم الأحمر، والعمامة الحمراء أيضا!

واللثام الذى كان يضعه السيد البدوى على وجهه لم يكن لثاما جديدا كما جرت العادة عند كثير من الصوفية، لكنه كان يضع لثامين، وقالوا إنه كان يضعهما ليستر بهما ما أفاض الله عليه من نور، وشدة الهيبة والنظرة.. وان الذين رأوا وجهه كانوا عالمين جدا.

أما «الراية الحمراء» فقد اتخذها السيد البدوى شعارا لطريقته الأحمدية..

ولماذا اللون الأحمر؟ يقولون لأنه يحمل معانى الفداء والتضحية بالروح والدم، وان اللواء الذى تقدم على سائر الألوية يوم فتح مكة كان أحمر اللون، وان النبى عليه الصلاة والسلام قد اتخذ اللواء شعارا للجهاد والتضحية.

وينقل الرواة عن السيد البدوى أنه قال لخليفته عبدالعال: «أعلم اننى اخترت هذه الراية الحمراء لنفسى فى حياتى وبعد مماتى، وهى علامة لمن يمشى على طريقتنا من بعدى».

ويذكر الرواة أيضا أن السيد عبدالعال سأل شيخه السيد البدوى: وما هى شروط من يحمل هذه الراية؟

فقال السيد البدوى: شروطه أن لا يكذب، ولا يأتى بفاحشة، وأن يكون غاض البصر عن محارم الله تعالى، طاهر الذيل، عفوف النفس، خائفا من الله تعالى، ملازم الذكر، دائم الفكر.

●●●

ولم نقرأ فى سيرة السيد البدوى منذ قدم إلى طنطا واستقر بها حتى نهاية العمر، شيئا عن أسرته التى تركها فى مكة، سوى ما أشار إليه الشيخ عبدالصمد فى كتابه «الجواهر السنية» وهو أن الشقيق الأكبر للسيد البدوى - وهو الحسن - قد جاء القاهرة لزيارة أخيه فى أيام السلطان الظاهر بيبرس، وأن الظاهر بيبرس قد احتفى به هو ومن كان معه، وعند عودتهم إلى مكة قدم لهم العطايا والهبات الكثيرة، وانهم قد ابتهجوا لما حققه السيد البدوى فى مصر.

وكما يذكر المؤرخون فإن السيد البدوى قد عاصر من حكام مصر: الملك العادل أبوبكر الكامل.. والصالح نجم الدين أيوب.. وعزالدين أيبك التركمانى. والمظفر سيف الدين قطز.. والظاهر بيبرس.

وكـان للسيـد البدوى عـدة ألقاب، ومن هذه الألقـاب: السيـد، الشريف، الإمام، القطب، البدوى، العطاب، الفـتى، الملثم، الغضبان، الزاهد، القـدسى، الصامت، الولى، ندهة المنضـام، دليل الحـيران، جياب الأسرى، أبو الفتيان، السطوحى، شيخ العرب.

وتلك الألقاب تصور مكانتـه وشخصيته وجـوانب حياته، على امتداد رحلة طولها ثمانون عـاما.. وكل لقب من تلك الألقاب يفسر ويوضح ويلقى ضوءا على جانب من تلك الرحلة.

فالسيد هو أجل القوم قدرا، وقد اشتهر «بالسيد» كل من ينتمى إلى رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم بالنسب، والشـريف من الأشـراف الذين هم سلالة على بن أبـى طالب من فاطمـة الزهراء رضى الله عنها.. والزاهد لأنه عاش زاهدا طوال حـياته ولم يترك شيئا يورث عنه إلا عباءته وقميصه وعمامته ومسبحته.. والعطاب لكثرة ما كان يقع من الضـرر لكل من أذاه.. والصامت لإقلاله من الكلام، فالـصوم عن الكلام عبـادة لا تقل عن الصوم عـن الطعام والشراب.. وأبو الفتيان لأنه جمع فى شـخصه خصائص الفتوة.. وجـيـاب الأسرى، لأنه كـان يفك أسـر المسلمـين وقت الحـروب الصليبيـة التى شهـدها عصره.. والملـثم لأنه اتخذ اللثام شـعارا، وكان يلـقب أيضا بصـاحب اللثامـين فقد كـان يضع على وجـهه لثامين وليس لثاما واحدا كما كان يفعل بعض الصوفية، ويقال انه كـان يتلثم ليسـتـر ما أفـاض الله عليه مـن النور وشدة الهـيبـة والنظرة!

●●●

وكانت وفاة السـيد البدوى يوم الثلاثاء الثـانى عشر من ربيع الأول سنة ٦٧٥ هجرية الموافق ٢٤ أغسطس سنة ١٢٧٦ ميلادية وكان ذلك اليـوم هو يوم احياء ذكرى مـولد النبى صلى الله عليه وسلم.

كانت وفاته فى نفس المكان الذى عاش وتعبد ودفن فيه.. وهو دار ابن شحيط.

وإلى جوار القبر أقام تلميذه وخليفته الشيخ عبدالعال زاوية صغيرة عرفت بالزاوية الأحمدية.

وبقيت هذه الزاوية على حالها، حتى عصر السلطان قايتباى.. الذى قام بتحويل الزاوية إلى مسجد صغير.. كان ذلك عام ٩٠١ هجرية.. وكان هو أيضا الذى أقام قبة على ضريح السيد البدوى.. وكذلك مئذنة للمسجد الصغير.

ثم جاء على بك الكبير، وقام ببناء المسجد الكبير الحالى وأقام القباب الثلاث، وجعل أكبرها على ضريح السيد البدوى.. والقبة الثانية للشيخ عبدالعال الفيشاوى والقبة الثالثة للشيخ مجاهد شيخ المسجد فى عصر على بك الكبير.

أيضا أقام على بك الكبير مقصورة من النحاس لضريح السيد البدوى ونقش عليها اسمه ونسبه، كما انشأ فى مواجهة المسجد سبيلا فوقه «كتاب» لتعليم اليتامى القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم.

وعن تلك العمارة الضخمة التى أقامها على بك الكبير، يقول الجبرتى: ومن مآثره ـ أى مآثر على بك الكبير ـ العمارة العظيمة بطندتا ـ أى طنطا ـ وهى المسجد الجامع، والقبة التى على مقام سيدى «أحمد البدوى» رضى الله عنه، والمكاتب، والميضاة الكبيرة، والحنفيات، وكراسى الراحة المتسعة والمنارتان العظيمتان، والسبيل المواجه للقبة، والقيسارية العظيمة النافذة من الجهتين، وما بها من الحوانيت للتجارة.. وسميت هناك «بالغورية» لنزول تجار أهل الغورية بمصر فى حوانيتها أيام مواسم المولد المعتادة لبيع الأقمشة والطرابيش والعصائب.

● وقد أوقف على بك الكبير، بعض الأوقاف لمقام السيد البدوى، وتوفير الاحتياجات للقائمين على خدمته، والصرف على المشروعات التى أقامها.. وسجل تلك الأوقاف فى وقفتين، حدد فيهما أوجه الانفاق وكيفية التصرف..

وجاء فى الوقفين انه أوقف أراضى زراعية من قرى القوصية بولاية الأشمونين تغل سنويا - ٧١٨٩٧٥ أردبا من القمح - كما أوقف «١٧» فدانا من أجود الأراضى الزراعية بنواحى طنطا وبلتاج بالاضافة إلى العمائر والوكايل - أى الوكالات - والقياسر - أى القيساريات وغيرها من العقارات التى تغل ريعا سنويا قدره - ٨٤٨٥٢٥ نصف فضة - أى ما يعادل ٢٦٢٦٤ جنيها مصريا، واذ كان الجنيه يساوى ٣٠ نصف فضة..

وجعل المستفيد من هذه الأوقاف هم خلفاء السيد البدوى وخدم الضريح والقائمين به من العلماء والمجاورين بالمسجد، والفقراء والمساكين والعجزة والأيتام وأرباب الأشاير المنسوبين للطريقة الأحمدية..

ونصت الوقفية أيضا على أن يكون عدد المجاورين سبعمائة، يقطنون بمسجد السيد البدوى ويأخذون جراية يومية مكونة من ستة أرغفة خبز قرصة لكل مجاور.. وفول نابت بعد صلاة الصبح.. وشربة.. وبر أى «العيش».

وفى شهر رمضان تزاد الجراية.. فتشتمل على الأرز، واللحم، والمسلى، والبصل، والحمص، والمصلح.

كما خصصت للمجاور ٨٥ نصف فضة يصرف سنويا للكسوة يشترى بها بفتة، وزعابيط وقماش أبيض.

أيضا خصصت الوقفية مائة أردب من القمح نصف سنويا

لعشرة علماء يقومون بالقاء عشرة دروس فى الجامع الأحمدى، فى الحديث والفقه والنحو والتوحيد.

كذلك خصصت الوقفية مبلغ ٢١٦٠ نصف فضة تصرف سنويا فى «معلوم» رجل من علماء المسلمين المحدثين، يقرأ فى المسجد المرقوم فى كل يوم درسا فى حديث البخارى للسادة المجاورين بالمسجد المذكور وغيرهم من أهالى الناحية.

وكان مشروع على بك الكبير هو نواة انشاء المعهد الأحمدى الكبير فى طنطا..

فقد تحول المسجد الأحمدى إلى معهد علمى دينى على غرار الجامعة الأزهرية.. ويذكر على مبارك أن هذا المعهد كان له فى تدريس العلوم شبه الجامع الأزهر.. ففيه نحو ألفى طالب غير المدرسين، ولهم شيخ كشيخ الأزهر، وقد تداول مشيخة العلماء بالجامع الأحمدى قديما وحديثا عدد كبير من أجلاء العلماء وفضلائهم.

وقد تطورت الدراسة فى المسجد حتى استدعى الأمر قيام معهد آخر ملحق بالجامع وذلك سنة ١٣٣٢ هجرية.

ولمسجد السيد البدوى أربعة أبواب يطلق عليها باب السر.. الباب الرخام، والباب المطلى على شارع الهنود، والباب الرئيسى المطل على الميدان.. وهناك أبواب أخرى غير تلك الأبواب الأربعة الكبرى..

ومنبر المسجد من الخشب المعشق، ويعتبر أكبر منبر فى مساجد مصر.

وفى ركن الحجرة الفسيحة التى بها الضريح قطعة من الحجر الأسود تحمل آثار أقدام، يقال انها أقدام الرسول عليه الصلاة والسلام.

● بعد وفاة السيد البدوى.. بدأت الطريقة الأحمدية تتحول إلى

شعب، وحملت كل شعبة اسم صاحبها، وأن ظلت جميعها تلتزم بدعوة البدوى، وتعاليمه الصوفية، وترفع راياته الحمراء.. فظهرت الطريقة البيومية الأحمدية، والطريقة الناوية الأحمدية، والطريقة الامبابية، نسبة إلى الشيخ اسماعيل الامبابى.. والطريقة الشعيبية، والسلامية، المنايفية، والمرازقية والزاهدية والحمودية، والأكبرية وغيرها..

لكن الخلافة.. خلافة السيد أحمد البدوى ظلت محصورة فى حضرة الخليفة الأول وهو الشيخ عبدالعال الأنصارى أو الفيشاوى نسبة إلى قريته فيشا، والذى حمل لواء الدعوة والطريقة الأحمدية طوال ثمانية وخمسين عاما، بعد وفاة شيخه السيد البدوى.

وصار تقليدا وراثيا أن تنحصر الخلافة فى هذه الأسرة، وصار من حق الخليفة أن يرث تراث السيد البدوى وهو: اللثامين اللذين كان يضعهما على وجهه، وخرقة الصوف، والعمامة، والراية الحمراء.

وبقى له سلطانه ونفوذه على جميع الأتباع والمريدين للطريقة الأحمدية.

وهناك خادم الضريح ومساعدوه، وهم الذين أسماهم الجبرتى «سدانة الضريح».. وقال ان على بك الكبير قد جعل من المعلم حسن عبدالمعطى المشد مسئولا عن سدانة الضريح الأحمدى بدلا من أولاد سعد الخادم لسوء سيرتهم وظلمهم، وان على بك الكبير قد نكبهم وأخذ ما أمكنه من أموالهم وهو شىء كبير أنفقه فى عمارة المسجد وتوابعه.

ونفهم من كلام الجبرتى أن هذه الوظيفة كانت تدر دخلا كبيرا وكان القائمون بها يتحصلون على الأموال الكثيرة وان الصراع

على من يشغلها كان شديدا.. وقيل أن خدمة الضريح قد عادت مرة أخرى لأولاد سعد الخادم.

●●●

وعبر كل العصور، منذ جاء السيد البدوى إلى طنطا وحتى الآن، كانت له مكانته الكبيرة وقدره الجليل عند حكام مصر وليس أهلها فقط.

فكل الحكام كانوا يحرصون على الاهتمام برعاية مقامه والعناية بمسجده، وهو ما يعكس تأثيره الواسع والعميق داخل المجتمع المصرى.

وقد أفاض المؤرخون الذين تناولوا سيرة السيد البدوى فى الحديث عن مظاهر ذلك الاهتمام، وأوردوا الكثير من الحكايات الغريبة الطريفة التى نندهش ونحن نقرؤها ونستعيدها الآن.. وان كانت لها دلالاتها ومغزاها فى التأثير الواسع الذى أحدثه السيد البدوى فى المجتمع المصرى عبر مختلف العصور.

ويذكر ابن اياس أن السلطان قايتباى كان كثير الاعجاب بالسيد البدوى والاعتقاد فيه، وأنه زار ضريحه سنة ٨٨٨ هجرية ووسع فى مقامه وشيد له المبانى العظيمة.

ويذكر الاسحاقى فى تاريخه أن محمد على باشا الحاكم التركى قصد زيارة الشريف العلوى السيد أحمد البدوى، ونزل فى الموكب إلى طنطا، وأحسن إلى فقراء المقام الأحمدى.

ويذكر ابن اياس أن زوجة السلطان «حشقدم» واسمها «خوند شكرباسى» كانت من أتباع الطريقة الأحمدية.. وكانوا يسمونها خوند شكر باى الأحمدية!

وكانت دائمة الزيارة لضريح السيد البدوى، وعندما توفيت عملوا بوصيتها ووضعوا على نعشها «خرقة» من خرق الصوفية.. وأمام نعشها رفعوا الرايات الحمراء!

يذكر الجبرتى فيما رواه عن أخبار الحملة الفرنسية على مصر، ان الجنرال «مينو» وقف فى جمع من المشايخ والعلماء يعدد ما قدمه نابليون من خدمات لمصر وللمصريين.. فقال: وكان مراده كذلك يامشايخ ويا علماء أن يسافر للحج الشريف هذه السنة.. وأن يزور طنطا لأجل حفظ مقام السيد البدوى!

إذن، نابليون أيضا كان عارفا بقدر السيد البدوى وتأثيره فى مصر.. وإلى الحد الذى وضع زيارته إلى جانب زيارة الحج، كما قال الجنرال «مينو» وكما أراد أن يوهم المشايخ.

ويذكر عبدالرحمن الرافعى فى كتابه عن «عصر اسماعيل» ان الحكومة اضطرت إلى دعوة مجلس شورى النواب فى دور غير عادى فى صيف ١٨٧٦ ميلادية ١٢٣ هجرية فى طنطا، لأنه تصادف فى ذلك الوقت ان كان موعد مولد السيد البدوى، وخشيت الحكومة عدم تكامل عدد الأعضاء بسبب تغيب معظمهم فى طنطا لحضور المولد.. ويقول عبدالرحمن الرافعى: ان الأعضاء اجتمعوا فى طنطا برئاسة عبدالله باشا عزت يوم الاثنين ١٧ رجب سنة ١٢٣٩ وهناك فى رحاب السيد البدوى ناقش الأعضاء الموضوع الخطير المعروض عليهم.

●●●

وعن فكرة احياء مولد السيد البدوى يذكر بعض المؤرخين انه فى العام الذى توفى فيه السيد البدوى حضر إلى طنطا عدد كبير من أتباعه ومريديه لزيارته والتزود من علمه كعادتهم.. ولما وصلوا وعلموا أنه مات، مكثوا بالمدينة سبعة أيام.. ولكثرة عددهم وضيق المكان.. نصبوا خياما خارج المدينة ونحروا الذبائح.

وبعد انتهاء الأيام السبعة سافروا على أن يعودوا فى نفس الميعاد من العام التالى.

ثم صارت عادة سنوية.. يقام فيها المولد.

لكن علي باشا مبارك يذكر فى الخطط التوفيقية أنه سمع من بعض المشايخ ان الأصل فى عمل المولد يرجع إلى أن السيد البدوى لما توفى كان كثير من تلامذته متفرقين فى البلاد.. فلما سمعوا بوفاته حضروا بأتباعهم ومن معهم إلى طنطا ليعزوا فيه خليفته عبدالعال، وكانت طنطا وقتذاك قرية صغيرة، فلم تكن تتسع لكل هذه الجموع، فضربوا خيامهم خارجها، وأقاموا فى تلك الخيام ثلاثة أيام.. فلما أرادوا الرحيل شيعهم عبدالعال وودعهم إلى خارج طنطا.. فقالوا له: هذه عادة مستمرة نحضرها كل عام فى هذا الموعد إن شاء الله.. فلما كان العام المقبل حضروا للميعاد.. ثم حضروا فى الذى بعده.. واستمرت هذه العادة فنشأ المولد الكبير وكان فى الأصل ثلاثة، ثم زاد إلى ثمانية أيام كما هو عليه الآن.

ويروى الجبرتى وابن اياس ان تجارا من الهند وبلاد الروم والشام كانوا يشدون الرحال إلى المولد للتجارة.

ومايزال مولد السيد البدوى هو أكبر الموالد فى مصر.. يكفى أن مليونين من البشر يشدون الرحال كل سنة إلى طنطا للاحتفال بمولد البدوى.

وماتزال الليلة الكبيرة لها كل مظاهر المهرجان المثير الذى لا نظير له.. والذى يعبر عن التقدير والمكانة الرفيعة التى يحظى بهاالسيد البدوى فى قلوب المصريين.. كصوفى جليل، استطاع بزعامته الروحية أن يربى رجالا وأبطالا فى طنطا تصدوا للحملة الصليبية وقاتلوها وكانت كل تعاليمه ووصاياه لهؤلاء الرجال والأبطال تقوم على أساس التمسك بالكتاب والسنة المطهرة.

رحلة أولياء الله
فى
مصر المحروسة

٢

رحلة سيدى أبو الحسن الشاذلى

صـــاحب العمـــامة البيضـــاء

الذى خرج لقتال الملك لويس فى المنصورة

يوم اعتقال الشاذلى بالأسكندرية
وكيف التقى بالسلطان فى القلعة ؟

مؤسس الطريقة الشاذلية لأتباعه :

اعـــــــرف اللــــه ..

وكـــن كيـــــف شـــئت

وقائع الليلة الأخيرة فى صحراء الصعيد .. وكيف اختار خليفته ؟

فى ختام رحلة روحية طولها ٦٣ سنة، توقف سيدى أبو الحسن الشاذلى عند «حميثرة».. هناك فى صحراء الصعيد، على مقربة من ساحل البحر الأحمر.

كان سيدى أبو الحسن فى طريقه للحج، كعادته كل عام، لكنه فى هذه المرة حرص على أن يأخذ معه «فأس وقفة وكل ما يجهز به الميت»!

كان يدرك أن نهاية الرحلة ستكون هنا!

فى هذا الوادى المنعزل وسط الصحراء والجبال.

وعندما حانت ساعته.. جمع الشيخ أصحابه، وأبلغهم وصاياه، واختار من بينهم تلميذه المرسى أبو العباس، وقال لهم: هذا هو خليفتى.

وطلب الماء، واغتسل، وصلى ركعتين.

وفى آخر سجده له فاضت الروح الطاهرة.

وفى نفس المكان دفن أبو الحسن الشاذلى، أحد الأقطاب الكبار، مؤسس الطريقة الشاذلية التى تفرعت عنها العديد من الطرق. الطرق الصوفية، والتى لها نهجها الفريد فى الدعوة إلى الهداية، ومجاهدة النفس، ومعرفة الطريق إلى الله.

من هو الشاذلى؟

وكيف بدأ الرحلة الطويلة، من «غمارة» تلك القرية فى أقصى المغرب العربى؟

ومتى جاء إلى مصر؟

ومن الذى أعطاه الاذن، وأصدر إليه الأمر بالانتقال إليها، وحدد له المهمة؟

ولماذا أصدر سلطان مصر قرارا باعتقاله وتحديد اقامته، ثم عاد ورضى عنه، وخصص له برجا يسكنه فى سور الاسكندرية!

ايضا، كيف كانت حياته فى مصر؟ مصر التى فيها تزوج، وانجب الأولاد، ورحب به كبار العلماء، وأسس الطريقة الشاذلية، واشتغل بالزراعة، واقتنى الخيل، ولبس أفخر الثياب، وخرج فى مواكب صوفية حافلة، وقال عنها فى رسائله لأصدقائه وأحبائه بتونس: نحن فى سوابغ نعم الله نتقلب! ذهبت أيام المحن، وأقبلت أيام المنن.

طويلة هى الرحلة التى قطعها سيدى أبو الحسن الشاذلى.

وكثيرة هى الوقائع التى تزخر بها، والتى من اهم علاماتها أن هذا القطب الصوفى الجليل، الذى رفع راية الدعوة إلى الهداية، ومجاهدة النفس عن الهوى، ومعرفة الطريق إلى الله.. لم يتخلف عن جهاد الأعداء، وحتى وهو فى آخريات حياته، وبعد أن كف بصره! فقد خرج الشاذلى، وذهب إلى المنصورة، وأخذ يحرض على القتال والصبر والصمود، دفاعا عن الاسلام، وديار الاسلام، وحتى لا تسقط راية الاسلام.

وكان هو صاحب الرؤية التى بشرت بالنصر فى مواجهة الحملة الصليبية، وسقوط الملك لويس التاسع فى الأسر.

فلنبدأ الرحلة من البداية..

● الشيخ أبو العزايم ماضى كان تلميذ سيدى أبو الحسن الشاذلى وخادمه أيضا.. وهو من أهم مصادر المعلومات عن سيرة حياة استاذه وسيده القطب الصوفى الكبير.. وإليه رجع ابن

الصباغ مؤلف كتاب «درة الأسرار» الذى يعد من أهم المراجع عن الشاذلى، رجع إلى كل الذين اقتربوا من الشاذلى أو التقوا به فى مختلف الأقطار..

وإلى هذا الكتاب «درة الأسرار» رجع فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر عندما وضع كتابه عن أبو الحسن الشاذلى الصوفى المجاهد والعارف بالله.

وإليه أيضا رجعت الدكتورة سعاد ماهر فى الكثير مما أوردته عن أبو الحسن الشاذلى فى كتابها عن مساجد مصر وأوليائها الصالحين..

وصف لنا الشيخ أبو العزايم أستاذه أبو الحسن الشاذلى فقال:

كان آدم اللون - أى قمحى اللون - نحيف الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، طويل أصابع اليدين..

وكان فصيح اللسان عذب الكلام..

وكان يأخذ زينته عند كل مسجد.. وكان يتحلى دائما بالثياب الحسنة..

ويوضح ابن عطاء الله السكندرى فى كتابه «لطائف المنن» الصورة التى تعكس وتجسد فلسفة القطب الصوفى الجليل الشاذلى.. يقول:

دخل عليه فقير - أى صوفى - يرتدى لباسا خشنا من الشعر.. فلما فرغ الشاذلى من كلامه.. دنا منه الفقير وأمسك بملابسه - أى ملابس الشاذلى - وكانت من أفخر الثياب وقال له:

ياسيدىّ.. ماعُبد الله بمثل هذا اللباس الذى عليك.

فأمسك الشاذلى بملابس الفقير الخشنة وقال له:

ولا عُبد الله بمثل هذا اللباس عليك..

وأضاف الشاذلى:

لباسى يقول.. أنا غنى عنكم فلا تعطونى.. ولباسك يقول.. أنا فقير إليك فأعطونى.

ويعقب ابن عطاء الله السكندرى على هذه القصة فيقول: وهكذا طريق أبو الحسن الشاذلى وتلميذه المرسى أبو العباس وأصحابهما.. طريق الاعراض عن لبس زى ينادى على سر اللابس بالافشاء ويفصح عن طريقه بالابداء.. ومن لبس الزى فقد ادعى!

ويقول ابن عطاء الله انه لا ينتقد زى الفقراء ـ أى الصوفية ـ وانه لا حرج على اللابس لهذا الزى أو غير اللابس مادام من المحسنين..

ويتضح منهج الطريقة الشاذلية أكثر وأكثر ونحن نتابع ما يرويه ابن عطاء الله.. يقول:

دخل أبو العباس المرسى يوما على الشيخ أبو الحسن الشاذلى وفى نفسه أن يأكل الخشن وأن يلبس الخشن.. فقال له الشاذلى:

ـ يا أبا العباس.. اعرف الله وكن كيف شئت.. ومن عرف الله فلا عليه أيضا ان أكل هنيئا وشرب مريئا..

تعاليم الشاذلية.. ونهج الاعتدال!

● وكان الشاذلى يقول:

يابنى بَرِّدْ الماء.. فإنك اذا شربت الماء السخن فقلت الحمد لله تقولها بكزازة ـ أى على مضض ـ!

واذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله.. استجاب كل عضو منك بالحمد لله.

ويمضى ابن عطاء الله السكندرى فى توضيحه لنهج الطريقة الشاذلية الذى رسمه أبو الحسن الشاذلى لأتباعه ومريديه فيقول: إن لبس اللباس اللين وأكل الطعام الشهى وشرب الماء البارد ليس

بالذى يوجب العتب من الله اذا كان معه الشكر لله..

ويذكر الدكتور عبدالحليم محمود إن هذا كله يتمشى مع قوله تعالى: «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة».

ويضيف: ومهما يكن من شىء، فإن أبا الحسن الشاذلى كان ينصح دائما بالاعتدال ويعلن للمريدين قائلا: لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها أو تنحل أعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمة أو بالفكرة أو بالارادة أو بالحركة..

والقاعدة العامة عند الشاذلية: اعرف الله وكن كيف شئت. وذلك أن من عرف الله تعلق قلبه به وامتلأ بحبه فلا يتأتى منه إلا الفضيلة.

وكان الشاذلى يحاول، فى أيام المواسم الروحية الكبرى وفى أيام الحفلات الدينية العظمى، أن يلفت أنظار الناس إليها حتى تستمر هذه المواسم حية فى نفوسهم يحيونها بالذكر والعبادة، ويحتفلون بها..

ويذكر صاحب «الكواكب الدرية» ان الشاذلى كان اذا ركب فى هذه المواسم تمشى أكابر الفقراء - أى الصوفية - وأكابر الدنيا حوله، وتنشر الاعلام على رأسه وتضرب الكاسات بين يديه..

والشاذلى الذى كان يريد أن يحدث هزة قوية تلفت أنظار الناس وأرواحهم إلى المواسم الدينية وتذكرهم بها.. هو نفسه الذى يقول موضحا طريقه لأتباعه ومريديه: ليس هذا الطريق بالرهبانية.. ولا بأكل الشعير والنخالة.. ولا ببقبقة الصناعة.. وإنما هو الصبر على الأوامر واليقين فى الهداية كما قال الله تعالى: «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون»..

ويقول الدكتور عبدالحليم محمود فى وصفه للشاذلى: كان جميل المظهر، عذب الحديث، فصيح اللسان.. غير متزمت فى المأكل والمشرب.. يحب الخيل ويقتنيها، ويركبها فارسا، ويركبها فى المواسم الدينية..

● هذه الصورة.. بكل ما قيل عنها وحولها.. توضح جانبا من جوانب شخصية أبو الحسن الشاذلى.. وتصحح فهما خاطئا شائعا عن التصوف ورجاله..

فماذا عن الجوانب الأخرى؟

ليبقى السؤال معلقا.. وسوف نعود إليه..

ولنبدأ مع الشاذلى رحلته من «غمارة».. تلك القرية ببلاد المغرب التى شهدت مولده.

●●●

● الزمان: سنة ٥٩٣ هجرية..

● المكان: قرية غمارة ببلاد المغرب، وهى قرية قريبة من المدينة الشهيرة «سبته» التى ماتزال تحت الاحتلال الأسبانى هى والمدينة الأخرى «مليلة»..

فى تلك السنة، وفى تلك القرية، كان ميلاد على بن عبدالله بن عبدالجبار ـ الذى نعرفه باسم أبو الحسن الشاذلى ـ والذى ينتهى نسبه إلى الحسن بن على بن أبى طالب أمير المؤمنين..

وفيها درس العلوم الدينية وبرع فيها.. غير أن هذه العلوم الظاهرة مهما بلغت من الدقة، ومهما بلغ بها العمق، لا تفضى بالنفوس الطموحة إلى الكف عن التطلع نحو عالم الغيب..

وشعر أبو الحسن بالرغبة الملحة فى القرب من الله، وفى أن يستضىء قلبه بنور المعرفة.. فهاجر إلى العراق..

لماذا العراق؟ لأنه كان محط أنظار طلاب الدين والدنيا.. منذ

عهد العباسيين.. وكان يضم كبار الفقهاء وأعلام المحدثين وأئمة التصوف..

هاجر الشاذلى إلى العراق.. وانتهى به المطاف إلى بغداد حيث التقى بالأولياء، وكان قمة هؤلاء الأولياء فى نظره هو أبو الفتح الواسطى..

لكن الشاذلى كان دائم البحث والسؤال عن «القطب» الذى يأخذ بيده.. وينير له الطريق..

وطال البحث وطال السؤال: أين يجده؟

وفوجىء الشاذلى بأحد الأولياء يقول له: يا أبا الحسن.. انك تبحث عن «القطب» بالعراق مع أن القطب ببلادك.. فارجع إلى بلادك تجده.

ورجع الشاذلى إلى بلاده..

إلى قريته «غمارة».. يسأل عن القطب..

ووجده.. وعرف مكانه..

كان القطب يسكن مغارة فى قمة الجبل.. وصعد إليه والتقى به..

ويصف الشاذلى كيف كان اللقاء به فيقول: اغتسلت فى عين بأسفل الجبل، وخرجت من علمى وعملى، وطلعت إليه فقيرا، واذا به هابط على، وعليه مرقعة، وعلى رأسه قلنسوة من خوص، وقال لى: مرحبا بعلى بن عبدالجبار، وذكر نسبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: يا على طلعت إلينا فقيرا من علمك ومن عملك فأخذت منا غنى الدنيا والآخرة..

ويقول الشاذلى: فأخذنى منه الدهشة، فأقمت عنده أياما إلى أن فتح الله على بصيرتى..

كان «القطب» الذى التقى به الشاذلى بعد أن بحث عنه طويلا هو «عبدالسلام بن مشيش»..

ويذكر ابن عياد فى كتابه المفاخر العلية إن عبدالسلام بن مشيش كان إمام أهل المغرب، كما كان الشافعى إمام أهل مصر..

وأخذ أبو الحسن الشاذلى يتردد عليه ويأخذ عنه، ويتتلمذ عليه.

●●●

● عن شيخه عبدالسلام بن مشيش يقول أبو الحسن الشاذلى: أوصانى أستاذى رحمه الله تعالى، فقال: حدد بصر الايمان تجد الله فى كل شىء، وعند كل شىء، ومع كل شىء، وفوق كل شىء، وقريبا من كل شىء، ومحيطا بكل شىء..

وقد بهر ابن مشيش أبا الحسن الشاذلى بعلمه القائم على الكتاب والسنة.. وبهره بولايته وكراماته..

ويذكر كتاب «درة الأسرار» ان ابن مشيش رسم حياة أبى الحسن الشاذلى، فيما يستقبله من أيام وقال له: يا على ارحل إلى افريقية وأسكن بها بلدا تسمى «بشاذلة» فإن الله عز وجل يسميك بالشاذلى..

وتذكر الدكتورة سعاد ماهر نقلا عن كتاب «درة الأسرار» أيضا أن ابن مشيش تنبأ بما يخبىء القدر للحسن الشاذلى من أحداث جسام.. وأشار عليه بأن يرتحل إلى افريقية ـ وكانت تعنى فى ذلك الوقت تونس الحالية ـ وعين له مدينة «شاذلة» بالذات قائلا له: فإن الله عز وجل يسميك بالشاذلى.

ووصل أبو الحسن الشاذلى إلى «شاذلة».. واتجه إلى جبل زغوان هناك، وبقى فى خلوة بالجبل يتعبد حتى امتلأ قلبه بالله، وتطهرت نفسه من الرجس فأصبحت خيرا خالصا..

ثم نزل من الجبل ليبدأ مرحلة جديدة فى الدعوة للهداية والارشاد..

● ويروى أبو الحسن الشاذلى عن نسبته إلى «شاذلة» فيقول:

قلت يارب لم سميتنى «بالشاذلى» ولست بشاذلى..

فقيل لى:

يا على ما سميتك بالشاذلى.. وإنما أنت الشاذلى، بتشديد الذال المعجمة، يعنى «المفرد لخدمتى ومحبتى».

وسافر أبو الحسن من «شاذلة» إلى مدينة «تونس».. موطنا النفس على تحمل البلاء الذى تنبأ له به شيخه عبدالسلام بن مشيش..

وتذكر كلماته له: «يؤتى عليك بها من قبل السلطنة»..

وحدث ما تنبأ به ابن مشيش.. فقد دبت الغيرة فى قلب ابن البراء قاضى قضاتها لما رأى كثرة مريدى الشيخ واجتماع الناس عليه والتفاف العلماء والفقهاء وكبار القوم حوله، وخشى أن ينتزع أبو الحسن الشاذلى الزعامة الشعبية منه وأن يتولى منصب قاضى الجماعة بدلا منه.. فأعلن الحرب عليه، وأخذ يدس له عند سلطان تونس فأمر السلطان باحتجاز أبى الحسن الشاذلى فى قصره لفترة.. وخلال هذه الفترة وقعت أحداث مفجعة وأليمة للسلطان.. فقد ماتت جاريته التى أحبها، وشبت النار فى بيته، واعتقد السلطان انها من كرامات الشيخ فأخلى سبيله!

● ● ●

● وقرر أبو الحسن الشاذلى الانتقال إلى مصر.. وأخذ طريقه إلى الاسكندرية..

لكن ابن البراء لم يتركه.. واستمر يلاحقه بحقده..

فكتب إلى نائب الاسكندرية يحذره منه..

يذكر كتاب «نور الابصار» ان ابن البراء كتب إلى نائب الاسكندرية يقول له: يقدم عليكم مغربى زنديق وقد أخرجناه من ديارنا فأحذروه.

ويذكر كتاب «درة الأسرار» ان ابن البراء كتب إلى نائب الاسكندر يقول إن هذا الواصل إليكم شوش علينا بلادنا وكذلك يفعل فى بلادكم..

فأمر سلطان مصر أن يعتقل بالاسكندرية..

وعندما قابل السلطان أبو الحسن الشاذلى فى القلعة وبحضور القضاة والأمراء، أن السلطان ان الشاذلى من الصالحين.

ويذكر الشعراني فى كتابه «لطائف المنن» ان أبا الحسن الشاذلى كان يقول: لا يكمل عالمٌ فى مقام العلم حتى يبتلى بأربع: شماتة الأعداء.. وملامة الأصدقاء.. وطعن الجهال.. وحسد العلماء.. فإن صبر على ذلك جعله الله إماما يقتدى به..

ويروى أبو الحسن الشاذلى عن انتقاله إلى مصر والاقامة فيها فيقول انه لم يسافر إليها إلا باذن.. وأن مقامه فى تونس كان مؤقتا بناء على ما ذكره له شيخه ابن مشيش، ولهذا لم يبال بمكائد ابن البراء.. وبقى ينتظر الاذن بالسفر..

ويروى الشاذلى كيف أتى له الاذن فيقول:

رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى:

«يا على انتقل إلى الديار المصرية لتربى فيها أربعين صديقا»..

وهكذا انتقل أبو الحسن الشاذلى إلى مصر..

وكانت اقامته فى مصر فترة استقرار مادى ومعنوى، وكانت فترة خصبة من حيث الدعوة وتربية الرجال.. يصفها الشاذلى بقوله: لما قدمت الديار المصرية قيل لى.. يا على ذهبت أيام المحن، وأقبلت أيام المنن.. عشر بعشر، اقتداء بجدك صلى الله عليه وسلم..

كان الشاذلى يقيم فى الاسكندرية ببرج من أبراج السور (سور الاسكندرية) أوقفه السلطان عليه وعلى ذريته.. وكان فى أسفله مأجل كبير ومرابط للبهائم.. وفى الوسط منه مساكن للفقراء - أى للصوفية - وجامع كبير.. وفى أعلاه أعلية لسكناه وعياله..

وفى الاسكندرية تزوج الشاذلى وأنجب خمسة أولاد.. ثلاثة من الذكور واثنتان من الاناث..

ويحدد الذكور بأسمائهم فيقول: منهم الشيخ شهاب الدين أحمد.. وأبو الحسن على.. وأبو عبدالله محمد شرف الدين - وقد أدركته بدمنهور وكان قاطبا بها - ومن البنات زينب ولها أولاد رأيت بعضهم.. وعريفة الخير وقد أدركتها بالاسكندرية..

● ويصف الشاذلى معيشته فى الديار المصرية فى احدى رسائله إلى أصدقائه بتونس.. فيقول:

الكتاب إليكم من الثغر - أى الاسكندرية - حرسه الله، ونحن فى سوابغ نعم الله نتقلب.. فما ألطفه، ندعوه فيلبينا، وبالعطاء قبل السؤال ينادينا، فلله الحمد كثيرا..

ويمضى فى رسالته الطويلة إلى أن يقول:

وأما الأهل والأولاد والأصهار والأحباب ففى سوابغ نعم الله يتقلبون، وباحسانه ظاهرا وباطنا مغمورون.. نسأل الله المزيد التام العام لكم ولهم أجمعين، وأن يتوب عنا فى شكره، انه أكرم الأكرمين..

●●●

● وكان أبو الحسن الشاذلى يحث أتباعه ومريديه على العمل ويكره المتعطلين..

يذكر ابن عطاء الله فى «لطائف المنن».. ان الشيخ أبا الحسن

الشاذلى كان يكره المريد المتعطل، ويكره أن يسأل تابعه الناس، ويحث على طرق باب الأسباب والعمل.

ويذكر الدكتور عبدالحليم محمود ان أبا الحسن الشاذلى كان يعمل فى الزراعة على نطاق واسع.. فهو يتحدث فى خطاب له لأحد أصدقائه عن سبب تأخيره فى السفر فيقول: وسبب الامساك عن السفر زرع لنا يدرس فى حرث فى ثلاثة مواضع..

وكان الشاذلى يتخذ للزراعة الوسائل التى تتيح نوعا من الاكتفاء الذاتى فيربى الثيران للحرث والدرس.

ويروى ابن عطاء الله ان المرسى أبو العباس دخل يوما على الشيخ أبو الحسن الشاذلى فقال له الشاذلى:

- ان أردت أن تكون من أصحابى فلا تسأل أحدا شيئا، وأن أتاك شىء من غير مسألة فلا تقبله.

فرد المرسى: ان النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية.

فقال الشاذلى: النبى صلى الله عليه وسلم قال الله فى حقه «قل إنما أنذركم بالوحى» فمتى أوحى الله إليك؟ إن كنت مقتديا به فى الأخذ، فكن مقتديا به كيف يأخذ.. كان صلى الله عليه وسلم لا يأخذ شيئا إلا ليثيب من يعطيه ويعوضه عليه، فإن تطهرت نفسك وتقدست هكذا فاقبل وإلا فلا.

ويذكر الدكتور عبدالحليم محمود ان النظرة الشاذلية فى الغنى والفقر تفضل الغنى الشاكر على الفقير الصابر، وتعلل ذلك بأن الصبر فضيلة فى الدنيا فقط، أما الشكر فإنه فضيلة فى الدنيا والآخرة.

●●●

كانت مصر حين انتقل إليها أبو الحسن الشاذلى تضم مجموعة من أكرم العلماء وأفضلهم علما وخلقا وصلاحا، وقد

استقبلت هذه المجموعة أبو الحسن الشاذلى أجمل استقبال، واقبلت عليه وحرصت على حضور مجلسه.

يذكر ابن عياد صاحب كتاب (المفاخر العلية) ان أكابر العلماء من أهل عصره كانوا يحضرون مجلسه، وكان منهم العز بن عبدالسلام، وتقى الدين بن دقيق العيد، وعبدالعظيم المنذرى، وابن الصلاح، وابن الحاجب، وابن عصفور، وابن عوف وابن سراقة وغيرهم.. وكان مجلسه بالمدرسة الكاملية بالقاهرة، وهى المدرسة التى أنشأها السلطان الكامل بن شقيق صلاح الدين الأيوبى.

●●●

ويأتى الحديث عن جهاد الأعداء ودور أبو الحسن الشاذلى فى معركة المنصورة والتصدى لقتال الحملة الصليبية.

يذكر المؤرخون ان أبو الحسن الشاذلى، كان فى آخر حياته، وكان قد كف بصره، ومع ذلك فقد كان فى مقدمة الذاهبين إلى المنصورة.. وكان مجرد سيرة مع جماعة العلماء فى الحوارى والشوارع تذكيرا للمجاهدين بالنصر أو الجنة، وحفزا للهمم، وتثبيتا للايمان، وتأكيدا لصورة الجهاد الاسلامية التى قادها فى عصور الاسلام الأولى رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وخلفاؤه الراشدون رضوان الله عليهم.

كان أبو الحسن الشاذلى ومعه جماعة العلماء يجتمعون ليلا فى خيمة من خيام المعسكر، يتوجهون إلى الله بصلاتهم ودعائهم يلتمسون منه النصر، فإذا ما فرغوا من ذلك أخذوا يتدارسون كتابا من الكتب.

وفى احدى الليالى كانوا يتدارسون الرسالة القشيرية.. وكان الشيخ أبوالحسن الشاذلى صامتا يستمع، فلما فرغوا طلبوا منه - وهو من أعلام هذا الميدان - أن يتحدث، وألحوا فى الطلب، فسكت

الشيخ فترة ثم تكلم فى انطلاق، وقوة، وروحانية..

ويروى كتاب درة الأسرار عن الرؤيا التى رآها أبوالحسن الشاذلى، والتى حملت البشارة بالنصر الذى تحقق باذن الله، وانتهى بأسر الملك لويس التاسع بالمنصورة.

الليلة الأخيرة.. واختيار الخليفة!

● كان أبوالحسن الشاذلى يحج فى كل سنة.. وكان يأخذ طريقه للحج من صعيد مصر.. وكان يبقى بمكة من شهر رجب حتى انقضاء موسم الحج، ثم يزور القبر النبوى بالمدينة المنصورة.

وقد حدث وهو فى طريقه للحج، فى آخر مرة سنة ٦٥٦ هجرية، ان طلب من خادمه أن يستصحب معه «فأسا وقفة وحنوطا - أى الطيب والحناء - وكل ما يجهز به الميت».. ولما سأله خادمه: ولماذا ياسيدى؟ أجابه أبوالحسن الشاذلى: عند «حميثرة» سوف ترى.

وحميثرة هى منطقة بالصحراء تقع ما بين مدينة قنا والقصير.. وهى على مقربة من «عيذاب» التى على ساحل البحر الأحمر وكانت فى ذلك الوقت هى طريق الحج..

ووصل الشيخ أبوالحسن الشاذلى وصحبه إلى منطقة حميثرة. وتوقف هناك.. وفى احدى الأمسيات - وكما يذكر كتاب «درة الأسرار» - فقد جمع الشيخ أصحابه وأخذ يوصيهم بأشياء.. وكان من بين هذه الأشياء أن يحفظوا حزب البحر..

وقال لهم: حفظوه لأولادكم فإن فيه إسم الله الأعظم..

ثم خلا الشيخ أبوالحسن الشاذلى بتلميذه المرسى أبو العباس وحده.. وأوصاه بأشياء.. واختصه بما خصه الله من البركات..

ثم جمع أصحابه ووجه الحديث إليهم وقال: اذا أنا مت فعليكم

بأبى العباس المرسى.. فإنه الخليفة من بعدى.. وسيكون له بينكم مقام عظيم.. وهو باب من أبواب الله سبحانه وتعالى..

وبات الشاذلى تلك الليلة متوجها إلى الله تعالى.. ذاكرا يسمعه أصحابه وهو يردد: الهى.. الهى..

فلما كان السحر سكن..

وظن أصحابه انه نام.. لكنهم عندما حركوه.. وجدوه قد مات..

وقيل انه اغتسل وصلى ركعتين فقبضه الله تعالى فى آخر سجده من صلاته..

وجاء تلميذه وخليفته المرسى أبو العباس فغسله، وصلى الجميع عليه.. ودفن فى نفس المكان..

ويذكر ابن بطوطة فى رحلاته أنه زار قبر أبوالحسن الشاذلى، وقال ان القبر عليه قبة مكتوب عليها اسمه ونسبه الذى ينتهى إلى الحسن بن على بن أبى طالب.

وذكر ابن بطوطة أيضا كل ما قاله الشيخ ياقوت العرش نقلا عن شيخه المرسى أبو العباس حول موت أبوالحسن الشاذلى.

وأورد ابن بطوطة وابن جبير ان «عيذاب» كانت ميناء على «بحر القلزم» ولم يكن فيها عمارة، لكنها كانت من أشهر المراسى فى البحار، تأتى إليها سفن اليمن والحبشة والهند، وكانت طريق الحج المصرى، يسير إليها الحجاج عن طريق «قوص» ثم يركبون منها إلى جدة.. وقد استمر حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتى سنة يتوجهون إلى الحجاز عن طريق «عيذاب» ثم أُبطل استعمال هذا الطريق فى سنة ٧٦٦ هجرية وتحول عنها الحجاج والقوافل إلى طريق السويس فالعقبة فالساحل الشرقى للبحر الأحمر إلى جدة.

●●●

ويذكر المؤرخون ان الشيخ أبو الحسن الشاذلى حين كف بصره، وهو فى آخريات أيامه، واجه آلامه بكل الرضا، ووجد فيه امتحانا من الله تعالى له، وعبّر الشيخ الجليل عن امتثاله وتقبله لأمر الله تعالى بكلمات صادرة عن نفس تملؤها السكينة وقلب يعمره الايمان.. وقال لتلميذه وخليفته من بعده المرسى أبو العباس:

لقد انعكس بصرى فى بصيرتى، فصرت كلى مبصرا..!

رحلة أولياء الله فى مصر المحروسة

٣

رحلة سيدى إبراهيم الدسوقى

صاحب العمامة الخضراء
الذى « صام وهو فى المهد » !

كان شيخا للإسلام فى عهد
السلطان الظاهر بيبرس .. بدون أجر !

وكان يتكلم السريانية والعبرية

ومؤلفاته فى ألمانيا وهولندا والمتحف البريطانى

من تعاليمه لأولاده : التصوف التزام
بالعلم والعمل والاقتداء بالرسول
والزهد لا يعنى الخروج من الدنيا

كان سيدى ابراهيم الدسوقى شيخا للاسلام أيام حكم السلطان الظاهر بيبرس.

وكان شرط الدسوقى لقبول هذا المنصب هو ألا يتقاضى عنه أجرا، وأن يذهب الراتب الذى سيقدر له إلى فقراء المسلمين!

وظل الدسوقى يشغل منصب شيخ الاسلام حتى توفى الظاهر بيبرس، فاعتذر عنه ليتفرغ لتلاميذه ومريديه.

وكان الدسوقى يتكلم السريانية والعبرية إلى جانب العربية، وقالوا أيضا انه كان يعرف لغة الطيور!

والسؤال: كيف كانت رحلة سيدى ابراهيم الدسوقى؟ ذلك العالم الصوفى الجليل؟ وما هى مولفاته التى اهتم بها المستشرقون ونقلوا بعضها إلى ألمانيا وهولندا والمتحف البريطانى؟

وكيف انتشرت «الطريقة البرهامية» فى مصر والسودان وسوريا واليمن والحجاز؟

وماذا كانت تعاليمه لتلاميذه وأتباعه؟

ولماذا اختلف مع السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ورفض الذهاب إليه عندما غضب السلطان وطلب استدعاءه؟

فلنبدأ الرحلة من هناك..

من مدينة دسوق..

ولنعبر ثمانية قرون إلى الوراء..

ونقف أمام «الخلوة» التى تحولت بعد ذلك إلى مقبرة للشيخ، ثم ضريح تعلوه قبة هى قبة سيدى ابراهيم الدسوقى صاحب العمامة الخضراء.

هنا كانت البداية، وهنا كانت النهاية، للشيخ الجليل الذى قيل عنه أنه «صام وهو فى المهد»!

ودخل «الخلوة» وعمره خمس سنوات.

وكانت له كرامة.

●●●

وسيدى ابراهيم الدسوقى هو الوحيد بين الأقطاب الكبار، الذى ولد فى مصر.

فأبو الحسن الشاذلى، والمرسى أبو العباس، وعبدالرحيم القنائى أو «القناوى» وقطب الأقطاب أحمد البدوى.. كل هؤلاء وفدوا إلى مصر من المغرب..

لماذا المغرب؟ لأنه كان خط الدفاع الثانى عن العالم الاسلامى بعد سقوط الأندلس، واندلاع الحروب الصليبية.. وكان أهله أكثر احساسا بالخطر الزاحف.. وفيه اشتد تيار التصوف الذى ارتبط ارتباطا شديدا بروح الجهاد التى فرضتها الأحداث.. وهناك قامت «دولة المرابطين» التى تحملت عبء المواجهة العسكرية.. وكان المرابطون ينتظمون فى فرق تجمع بين الجهاد والتصوف..

واسم «دولة المرابطين» يدل عليها.. «فالرباط» اصطلاح قرآنى مشتق من الآية الكريمة التى تقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»..

وبمرور الوقت فقدت دولة المرابطين طبيعتها الحربية وبقيت لها طبيعتها الروحية الممثلة فى «الطرق الصوفية» التى كان

يشرف عليها علماء متصوفون.. ومع اشتداد تيار الهجرة إلى مصر.. أخذت جماعة من هؤلاء الأعلام يفدون إليها.. وكان فى طليعتهم عبدالرحيم القنائى الذى اتجه إلى قنا، وبها عاش ومات وضريحه هناك.. وأبو الحسن الشاذلى الذى مات وهو فى طريقه إلى الحج، فى تلك المنطقة من الصحراء على ساحل البحر الأحمر وضريحه هناك.. والمرسى أبو العباس الذى سكن الاسكندرية.. وأحمد البدوى الذى اختار طنطا..

كل هؤلاء جاءوا من المغرب وقاموا بجمع المريدين فى مصر.. وانشأوا الطرق الصوفية على النسق الذى كان قائما فى المغرب، وعلى نفس المنهج التربوى الذى يركز على الجانب الخلقى العملى..

أما ابراهيم الدسوقى فكان مصرى المولد..

●●●

ولد ابراهيم الدسوقى فى «دسوق» التى إليها نُسب.. وكان ميلاده سنة ٦٢٣ هجرية..

ويذكر الشيخ سيد الشبلنجى فى كتابه «نور الابصار» نقلا عن الإمام الشعرانى فى كتابه «الطبقات» ان ابراهيم الدسوقى هو ابراهيم بن أبى المجد بن قريش الذى ينتهى نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب.

ووالده ابراهيم الدسوقى - وهو سيدى أبو المجد - له ضريح مقام ببلدة «مرقص» - بفتح الميم والقاف - المقابلة لمدينة دسوق..

ووالدته هى السيدة فاطمة بنت عبدالله بن عبدالجبار، وهى أخت الصوفى المعروف أبو الحسن الشاذلى، كما يتصل نسب الدسوقى بمعاصره قطب طنطا السيد أحمد البدوى عند الجد العاشر جعفر التركى بن على الهادى.

وقد تربى الدسوقى فى بيئة مصرية بين جماعة من أهل الورع والتقوى فشب محبا للعبادة والتدين مثل الشيخ محمد بن هارون العالم المتصوف، كما انه كان يترسم خطى خاله أبى الحسن الشاذلى صاحب الطريقة الشاذلية.. ودرس علوم اللغة والدين، وحفظ القرآن والحديث وأصول الفقه على مذهب الإمام الشافعى وهو لايزال طفلا صغيرا..

ويقال انه دخل الخلوة وهو فى الخامسة من عمره، ولما شب عن الطوق واشتد عوده بدأ يفد عليه فى خلوته قلة من المريدين وأصحابه وكان من أبرزهم السيد أبو النصر صاحب الضريح المعروف باسمه فى دسوق.. وظل الدسوقى معتكفا فى خلوته حتى مات أبوه سنة ٦٤٦ هجرية فغادر الخلوة لأول مرة وكان عمره اذ ذاك ثلاثة وعشرين عاما.. وقد رجاه وألح عليه أصحابه ومريدوه على ترك الخلوة حتى يتفرغ لتلاميذه وأنصاره فنزل عند رغبتهم وتركها واتخذ له مكانا بجوار خلوته..

●●●

ويذكر المناوى فى طبقاته أن ابراهيم الدسوقى شيخ الطائفة البرهامية وصاحب المحاضرات القدسية كان يتكلم بجميع اللغات من عربى وسريانى وعبرى وغيرها، وكان يعرف لغة الطيور..

وقد كتب ابراهيم الددسوقى العديد من الكتب والرسائل بالسريانية وترك ذخيرة من المؤلفات فى الفقه والتوحيد والتفسير، ومن أشهر كتبه كتابه المعروف باسم «الجواهر» أو الحقائق، ويوجد جزء من هذا المخطوط فى دار الكتب المصرية وجزء آخر فى جامعة ليدن بهولندا..

وقد نقل المستشرقون بعض مؤلفات الدسوقى إلى المانيا..

وله قصيدة محفوظة فى المتحف البريطانى بلندن..

وفى سجل أصدرته جامعة ليدن بهولندا، نشر له الكثير من المواعظ والأقوال المأثورة.

ويذكر الإمام الشعرانى ان الدسوقى تفقه على مذهب الإمام الشافعى ثم اقتفى آثار السادة الصوفية، وجلس فى مرتبة المشيخة، وحمل الراية البيضاء، وعاش من العمر ثلاثا وأربعين سنة، ولم يغفل قط عن مجاهدة النفس والهوى والشيطان حتى مات سنة ٦٧٦ هجرية..

وتشير كل المصادر التى تناولت حياة ابراهيم الدسوقى إلى أنه لم يتزوج، وظل أعزب طيلة حياته.. ويجمع المؤرخون على انه توفى وهو فى الثالثة والأربعين من العمر، وان وفاته كانت فى سنة ٦٧٦ هجرية، وهى السنة التالية لوفاة قطب طنطا السيد أحمد البدوى.

ودفن الدسوقى بالحجرة التى كان يتعبد فيها، وهى الزاوية التى كان يلتقى فيها بأصحابه وأتباعه ومريديه..

وفى نفس الحجرة، وعلى مقربة منه دفن أخوه، كما دفنت بينهما أمهما السيدة فاطمة ـ شقيقة إمام الصوفية أبو الحسن الشاذلى ـ أما الشقيق الآخر لابراهيم الدسوقى وهو الشيخ عتريس فهو مدفون بجوارمسجد السيدة زينب فى القاهرة..

●●●

ويقول الشيخ سيد الشبلنجى فى كتابه «نور الابصار» ان سيدى ابراهيم الدسوقى «صام وهو فى المهد»!

وقيل حول ذلك أنه كان قد حدث شك فى استطلاع هلال رمضان فى احدى السنين فذهب أهالى تلك الناحية إلى الشيخ محمد بن هارون يسألونه.. وكان الشيخ هارون من كبار العارفين، وكان عالما متصوفا، وكان صديقا لوالد ابراهيم

الدسوقى، وكان مقيما فى بلدة سنهور القريبة من دسوق.. فقال لهم الشيخ: اذهبوا وانظروا لذلك الصغير ـ الذى هو ابراهيم الدسوقى ـ واسألوا أُمه: هل رضع اليوم؟

وذهبوا وسألوا، فأخبرتهم انه لم يرضع منذ الفجر.. وانها تخشى عليه..

وعادوا إلى الشيخ هارون الذى قال لهم انه لم يعد هناك شك فى اثبات الرؤية!

وأرسل إلى والدة ابراهيم الدسوقى بمن يخبرها بألا تحزن أو تقلق، وأن الطفل سوف يرضع عند غروب الشمس!

والقصة من بين عديد من القصص التى تروى عن ابراهيم الدسوقى وتقول انه كان مباركا منذ مولده..

وفى حديثه عن ابراهيم الدسوقى، ومكانته العلمية، ونظرته إلى التصوف، يذكر الدكتور أبوالوفا التفتازانى شيخ مشايخ الطرق الصوفية ونائب رئيس جامعة القاهرة.. ان ابراهيم الدسوقى هو مؤسس «الطريقة البرهامية».. وقد سكن دسوق ودفن بها بعد وفاته سنة ٦٧٦ هجرية وفيها ضريحه ومسجده..

وكانت لابراهيم الدسوقى فى عصره مكانة فى العلم والعمل، فكثر تلاميذه، وانتشرت طريقته فى مصر والسودان وسوريا والحجاز وحضرموت.

وتفرعت عن الطريقة البرهامية ثلاثة فروع توجد حاليا فى مصر إلى جانب الطريقة الأم..

ومن أقواله فى التصوف ناصحا تلاميذه: من لم يكن متشرعا متحققا نظيفا عفيفا شريفا فليس من أولاده ولو كان ابنى لصلبى.. وكل من كان ملازما للشريعة والحقيقة والطريقة والديانة والصيانة والزهد والورع وقلة الطمع.. فهو ولدى ولو كان من أقصى البلاد..

ويقـول الدسـوقى ان الزهد لا يعنى الخـروج عن الدنيـا وأسبابـها.. وإنما الزهد أن يكون داخلا فى عمل المريد أو صنعته وأن يكون قلبه ذاكر لله..

ويذكر الدسوقى ان التصوف لا يتعلق بزى معين فـهذه أمور ظاهرة، أما القوم فعملهم «جوانى».

وقد عـاش الدسوقى يمجـد العلم ويدعو مـريديه إلى الأخذ به ويقول: يا أولادى.. اطلبوا العلم ولا تسأمـوا.. فإن الله تعالى قال لسيد المرسلين «وقل رب زدنى علما» فكيف بنا ونحن مساكين؟

ويذكر الدكتور أبو الوفا التفتازانى ان دعوة الدسوقى إلى طلب العلم هى دعـوة ايجابيـة، وهى تبين أن التصوف التـزام بالعلم، والتزام بالعـمل، والتزام بالاقتـداء بما كان عليـه رسول الله صلى الله عليه وسلم..

وكـان ابراهيم الدسـوقى يُشـبـه الشـيخ المرشـد بالطبـيب أو الحكيم.. والتلميـذ بالمريض.. ويقول: الشيـخ حكيم المريد.. فإذا لم يعمل المريض بكلام الحكيم لا يحصل له الشفاء..

وكان يدعو إلى الشفقـة والرحمة بالآخرين ويقول: من لم يكن عنده شفقة على خلق الله لا يرقى مراقى أهل الله تعالى..

ومن كلامه فى فـضيلة الورع وتجنب ما فيه شبـهة حرام مما يكسـبه الانسان قـوله: مادام لسـانك يذوق الحرام فـلا تطمع أن تذوق شيئا من الحكم والمعارف..

والتـصـوف عند الدسوقـى هو تجربة دينـية حـية يعانـيها الانسان، ولا تعلم بالوصف وإنما بالذوق.. يقول الدسوقى: يا ولد قلبى.. اجمع همة العزم لتعرف معنى الطريق إلى الله بالادراك لا بالوصف..

●●●

وكان ابراهيم الدسوقى يرتدى العمامة الخضراء، وكان اللون الأخضر هو رمز الطريقة البرهامية.

وقد عاش ابراهيم الدسوقى فى تلك الفترة التى تعد من أخطر الفترات التى مرت على العرب والمسلمين بسبب تعرض بلدان مصر والشام لغزو الصليبيين.. وكان لابراهيم الدسوقى دوره كمفكر وداعية، فقد راح يدعو الناس إلى الجهاد ويحضهم على قتال الغزاة وحماية الديار الاسلامية..

ويذكر المؤرخون ان السلطان الظاهر بيبرس عندما عرض على الشيخ ابراهيم الدسوقى أن يتولى منصب شيخ الاسلام، كان شرط قبوله لهذا المنصب هو ألا يتقاضى أجرا.. وأن يذهب الراتب الذى سيقدر له إلى فقراء المسلمين..

وقيل إن ابراهيم الدسوقى شغل منصب شيخ الاسلام إلى أن توفى الظاهر بيبرس فاعتذر عنه ليتفرغ لتلاميذه وأتباعه ومريديه..

والظاهر بيبرس الذى اختار ابراهيم الدسوقى ليكون شيخا للاسلام أيام حكمه.. كان أحد الفرسان العظام الذين تصدوا للحملة الصليبية فى موجاتها المتلاحقة.. وكانت جهوده ضد الصليبيين بالشام هى الحلقة الأولى فى المعركة الختامية التى انتهت بتطهير أرض الشام من الدخلاء الغاصبين، وقد صارت سيرة الظاهر بيبرس فى القصص الشعبى هى سيرة الأبطال والفرسان العظام الذين يذودون عن الديار، ويدوخون الأعداء، ويفتحون المدائن والبلدان.

ويذكر المؤرخون ان الدسوقى كان شجاعا لا يهاب الحكام ولا يخشى فى الله لومة لائم..

ويحدثنا الشيخ جلال الدين الكركى ان الدسوقى أرسل

للسلطان الأشرف خليل بن قلاوون رسالة شديدة اللهجة بسبب ظلم اقترفه مع الشعب، فغضب السلطان وأرسل فى استدعاء الشيخ، ولكن الدسوقى رفض الذهاب إليه وقال: انى هنا ومن يريدنى فعليه الحضور للقائى..

ولم يجد السلطان مفرا من النزول على ارادة الشيخ لما عرفه عن قدره ومكانته عند الناس.. فقدم إليه واعتذر له..

وقد أحسن الشيخ استقباله وبشره بانتصاره على الصليبيين.. وفعلا انتصر عليهم السلطان خليل بن قلاوون وقضى على آخر معاقلهم.. وفى عكا فى مايو سنة ١٢٩١ ميلادية، وكان فتح عكا هو نهاية دولة الصليبيين، فقد استرد المسلمون بعدها مدينة صور وغيرها من البقايا الصليبية فى سهولة..

●●●

وبعد وفاة الدسوقى أقيم على المقبرة ضريح وفوقه قبة.. ثم تحولت الزاوية الصغيرة إلى مسجد.. وفى عهد السلطان قايتباى أدخلت على المسجد تجديدات واضافات.. والمسجد الذى نراه اليوم أنشىء فى القرن الماضى ومساحته نحو ٢٠ ألف متر مربع ويبلغ عدد أعمدته سبعين عمودا من الرخام الأبيض، وسقف المسجد خشبى محمول على كوابيل خشبية.. وللمسجد ستة أبواب خصص اثنان منها للسيدات..

وفى أوائل القرن التاسع عشر ضم المسجد للجامع الأزهر وأصبحت الدراسة فيه تسير على نهج الدراسة الأزهرية، ويضم المسجد مكتبة تحتوى على خمسة آلاف كتاب فى مختلف العلوم..

وفى سنة ١٩٦٩ صدر قرار من وزير الاسكان بترميم وتوسيع مسجد ابراهيم الدسوقى، واستغرق تنفيذ المشروع عشر سنوات، وبعد مرور ٦ سنوات على اتمام المشروع ظهرت شروخ

وتصدعات فى المسجد والحوائط حول المئذنة.. وأثير الموضوع فى مجلس الشعب، وشكلت لجنة برلمانية لتقصى الحقائق حول أسباب تصدع المسجد.. وذهبت اللجنة إلى دسوق وعاينت.. وكانت المفاجأة التى سمعتها اللجنة عندما أثير موضوع حماية الآثار الاسلامية ان مسجد ابراهيم الدسوقى غير مسجل فى قوائم الآثار الاسلامية رغم تاريخه ونقوشه التى تمثل تراثا عريقا!

والاحتفال بمولد الشيخ ابراهيم الدسوقى يجتذب مئات الألوف التى تزحف إلى دسوق من مختلف قرى ومدن مصر.. ويصل عددها إلى المليون فى الليلة الكبيرة.. ويحتشد أتباع «الطريقة البرهامية» بفروعها المتعددة التى تنتشر فى مصر والسودان وسوريا والحجاز واليمن.. ويذكرون الله، ويستعيدون سيرة شيخهم وجهاده وأقواله ومواقفه التى يتمثلونها فى حياتهم.

رحلة أولياء الله
فى
مصر المحروسة

٤

رحلة سيدى أحمد الرفاعى

صاحب العمامة السوداء
وكيف أقام «دولة الرفاعية» ؟

جمع الحطب .. وحمل قرب الماء
وقال لتلاميذه:
لا مكان للمتعطلين فى مجلسى !

رسالة الرفاعي للخليفة العباسي:
إذا أحببت فانصف
وإذا كرهت فاذكر الله

حكاية رفاعى مصر .. وهل أقامت
خوشيار هانم جامع الرفاعى
بسبب لدغة ثعبان ؟

تبقى للإمام الرفاعى، تلك المكانة الروحية العالية فى قلوب المصريين، كواحد من كبار الأقطاب، أولياء الله.

وفى مصر، كما فى العالم العربى والاسلامى، يوجد الكثيرون من أبناء الطريقة الرفاعية، الذين يلتزمون نهج الإمام الرفاعى، ويتبعون طريقه، ويترسمون خطاه، ويعملون وفق تعاليمه ووصاياه، تلك التى تقول فى بساطة ووضوح:

طريقى دين بلا بدعة.
وعمل بلا رياء.
والطريقة هى الشريعة.
ومن خالف الشريعة فقد بعد عنا وخرج منا.

والإمام الرفاعى الذى أسس «دولة الرفاعية» وبسط زعامته الروحية، فى حياته وبعد مماته، على ملايين من المريدين والتابعين والمحبين فى طول العالم الاسلامى، كان يجمع الحطب، ويحمل «قرب الماء» على ظهره، ويضع نفسه فى خدمة اليتامى والأرامل والمساكين.. وكانت كلماته لتلاميذه: لا مكان للمتعطلين فى مجلسى!

والرفاعى الذى كان خادما للمساكين، وحاملا للقرب يوزع مياهها على المحتاجين، هو الرفاعى الذى كان يطالب تلاميذه

وأتباعـه بألا يخضعوا لغـير الله، ولا يتواضعـوا مع الأغنياء أبناء الدنيا، ولا ينهضوا لهم!

وهو الذى كتب للخليفـة العباسى ناصحا: إذا أحببت فانصف، واذا كـرهت فـأذكر الله، والخـطأ فى العفـو خـيـر من الخطأ فى العقوبة!

وقد اشتـهر الرفاعيـة بالسيطرة على الثعابيـن، وأكل الحيات، واقـتـحـام النار، وغـرس السكاكـين فى أبدانهم دون أن تحـدث جروحا أو تسـيل الدماء.. لكن شيـخهم سيدى أحمـد الرفاعى لم يفعل شيئا من ذلك فى حياته!

واذا كان الإمام الرفـاعى قد ولد وعاش ومات فى «أم عـبيدة» بالعراق.. فماذا عن حفيده «رفـاعى مصر»؟ الذى يسمونه الرفاعى الصغير؟

ثم ما هى حكاية خوشيار هـانم ـ والدة الخديو اسماعيل ـ مع الرفاعيـة؟ وهل صحيح أن خوشـيار هانم أنشأت المسجـد الكبير العظيم ـ مسجد الرفاعى فى مصر ـ بسبب لدغة ثعبان؟

تلك التسـاؤلات، وغيرها كثيـر، نضع الإجابة عليهـا فى سياق حديثنا عن رحلة سيدى أحمد الرفاعى.

● فى قرية «أم عبيدة» بالعراق واجه سيدى أحمد الرفاعى أول اختبار صوفى له..

لم يكن وقتها معروفا بين الصوفية، ولا كان اسمه قد ظهر بين صفـوفهـا.. كان لايزال فـتى فى أول الطريق الطويل الذى سلكه، بحثا عن الحقيقة.

وكان الذى أجـرى له الاختبار هو الشـيخ منصور البطائحى.. والشيخ منصـور كان عالما جليلا، وكـان من أكبر مشايـخ العصر فى زمانه، وكان صاحب طريقة، وله أتباع ومريدون.. وكان أيضا «خال» أحمد الرفاعى..

ولما اشتد المرض على الشيخ منصور فكر فى البحث عن خليفه له.. وفاتح أصحابه وتلاميذه ومريديه.. وقال انه لا يرى من هو أفضل من الرفاعى.. هذا الفتى الذى رباه، وتابع خطاه، وأرشده إلى الطريق..

لكن البعض من أصحاب الشيخ ومريديه كانوا يرون غير ذلك.. وأشاروا عليه بأن تكون المشيخة لواحد من أولاده من بعده.. وقال أولاد الشيخ ان ميراث الأب لا يكون إلا للابن وليس لابن الأخت.. وانهم أحق بذلك وأجدر.

وتفكر الشيخ منصور طويلا.. وانتهى إلى قرار، وهو اجراء «الاختبار الصوفى» على مرأى ومسمع من الأصحاب والمريدين والأتباع.. وأن يتقدم لهذا الاختبار أولاده - وهما اثنان - والرفاعى وبعض تلاميذه الجديرين بأن يخلفوا الشيخ أيضا.

وفى يوم الاختبار.. وبين الجمع الحاشد من رجال الصوفية.. قام الشيخ فأعطى لكل واحد ممن وقع عليهم الاختيار لهذا الاختبار سكينا ودجاجة.. وطلب أن يذهب كل واحد منهم إلى مكان يختاره، حيث لا يراه أحد.. وأن يذبح الدجاجة ويعود بها..

وانطلقوا جميعا، كل واحد فى اتجاه.. أولاد الشيخ.. والرفاعى.. والآخرون الذين وقع عليهم الاختيا لدخول هذا الاختبار..

ثم عادوا الواحد بعد الآخر.. وكل منهم حامل لذبيحته.. ماعدا الرفاعى الذى عاد دون أن يذبح الدجاجة!

والتف الجميع حول الشيخ ليسمعوا حديثه مع الرفاعى.

سأله الشيخ: لماذا لم تذبح الدجاجة؟

ورد الرفاعى: ياسيدى لقد اشترطت على كل واحد منا.. ان يذهب إلى مكان خال حيث لا يراه أحد. لكننى لم أجد هذا المكان.. ففى كل مكان ذهبت إليه.. كان الله حاضرا.. وناظرا.

ولهذا عدت ولم أذبحها.

وأدرك الجميع أن الشيخ منصور كان على حق عندما اختار الرفاعى ليأخذ مكانه من بعده..

وذاع اسم الرفاعى بعد ذلك.. واشتهر بين الصوفية.. وصار معروفا بنجابته وذكائه إلى جانب ما هو معروف عنه من تقوى وصلاح منذ طفولته..

وقد أوردت حكاية «الاختبار الصوفى» كل الكتب التى تناولت السيرة الرفاعية وبينها كتاب «النجم الساعى فى مناقب القطب الكبير الرفاعى» الذى وضعه أبوبكر بن عبدالله العيدروس.

ومع ظهور الرفاعى صارت «أم عبيدة» - وهى قرية إلى الشمال الشرقى من البصرة - مركز الطريقة الرفاعية.. يقصدها كبار رجال الصوفية للتزود بالعلم والتبرك، بعد أن ذاعت الطريقة الرفاعية وانتشرت فى العالم الاسلامى، سواء فى حياة الرفاعى أو بعد مماته.

●●●

● ولد الرفاعى فى «أم عبيدة» سنة ٥١٢ هجرية - أى فى العصر العباسى الثانى فى عهد الخليفة المستظهر بالله - وتوفى والده وهو فى بطن أمه.

وينتسب الرفاعى إلى جده السابع «رفاعة» الذى هاجر إلى المغرب هربا من اضطهاد العباسيين للعلويين فى المشرق واستقر بأشبيلية حيث تزوج وأنجب عددا كبيرا من الأبناء.. وقد سافر حفيده يحيى إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج وأقام فترة قصيرة فى مكة المكرمة، رحل بعدها إلى البصرة واستقر بها، وتزوج وأنجب ولديه الحسن الرفاعى.. وأحمد الرفاعى..

وكانت ولادة أحمد الرفاعى فى بيت جده لأمه، فقد توفى والده وهو جنين فى بطن أمه..

وكـان الذى تولى تربيتـه ورعايتـه هو خـاله الشيخ منصـور البطائحى..

ويذكر صاحب كتاب النجم الســاعى الكثير من الحكايات حول ميـلاد الرفاعى.. ومنهـا ان خاله الشــيخ منصور دخل على أخـته وهى حامل بالرفـاعى وقال لها: يا أختى لك البـشارة بهذا المولود الذى أنت حاملة بـه فإنه يكون له مرتبـة عظيمـة أعلى من مراتب الشيوخ، ويكون العالم كله مـنورا بقدومه، ويكون قوم من الناس منكرين له وقوم معتقدين فيه، ولكن دولته تزيد، ويكون المنكرون معترفين به معتقدين له.

وتذكر كـتب السيـرة الرفاعيـة إن الإمام الرفاعى تلـقى علومه الدينية وحفظ القرآن الكريم وهو مايزال صـغيرا لم يكمل السابعة من عمره.

وأخـذ يتردد على حلقـات كبـار العلمـاء وهو فى السابعـة من عمره.. وتتلمذ على يد ثلاثة.

الشيخ منصـور البطائحى، وهو خاله، وكان من كبـار الشيوخ والعلماء فى زمانه..

والشــيخ على القارى الواســطى الذى لازمه فى الطريق وأخـذ عنه علوم الحقـائق والدقائق وعلوم الظاهر والـباطن.. وهى علوم المتصوفة..

والإمام الخرنوبى الذى كان الرفاعى يـقيم عنده فترة كل عام، يلزم فيها مجلسه وينهل من علمه ويستمع إلى وصاياه..

ويذكـر الشيخ سـيد الشـبلنجى فى كـتابه «نور الابصـار» ان الرفاعى هو: أحمد بن يحيى بـن ثابت بن حازم بن رفاعة، الشيخ الزاهد الكبير، وأحد الأولـياء المشاهير.. وكان سيدا جليـلا صوفيا عظيما نبـيلا، قدم أبوه العراق وسكن أم عـبيدة، بأرض البطائح..

وولد له صاحب الترجمة، ونشأ بها، وتفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه، وكتب كتاب التنبيه فى الفقه الشافعى.. ثم تصوف وجاهد نفسه حتى قهرها، وأعرض عما فى أيدى الناس، وأقبل على اشتغاله بالحقيقة، واشتهر، وانتهت إليه الرياسة فى علوم القوم وكشف مشكلات منازلاتها.

●●●

تأسيس الطريقة.. وتعاليم الإمام؟

● وفى أم عبيدة أسس الإمام الرفاعى الطريقة الرفاعية، وأخذ يلتقى بتلاميذه ومريديه ويلقى عليهم دروسه ووصاياه.

وكان الرفاعى يلقى دروسه أيضا فى المسجد الكبير بالبصرة..

وكان يحدد طريقه لمريديه فيقول: طريقى دين بلا بدعة..وهمة بلا كسل.. وعمل بلا رياء.. وقلب بلا شغل.. ونفس بلا شهوة.

وكان يقول: طريقنا طريق تقى واخلاص فمن أدخل فى عمله الرياء والفجور فقد بعد عنا وخرج منا..

وكان يقول: من رغب فى اظهار الكرامات، وخوارق الأحوال، وانشاء براهين الأولياء، قاصدا بذلك التفاخر، وجلبا لحسن الحظ به، وسلما لصيد الدراهم، فأنا برىء منه فى الآخرة، وهو عدوى وأنا عدوه..

● وكانت تعاليمه لأتباعه تقول: الطريقة هى الشريعة.. وكل فعل خالف الشريعة فهو زندقة.. وتجارتنا هى العمل.. ورأسمالنا الاخلاص.. فتزودوا.. فإن خير الزاد التقوى..

● وتحدثت كتب السيرة الرفاعية طويلا عن سجايا الرفاعى.. قال الشيخ تقى الدين الواسطى فى كتابه ترياق المحبين ان الرفاعى كان اذا قدم عليه المسافرون من المحبين والأصحاب رحب بهم وأحضر الطعام ولاطفهم فوق الوصف.

وكان اذا التقى مع أحد لاقاه بالوجه الحسن، وكان مع الأيتام

فى مقام الوالد، وكان يتقيد بالنساء الأرامل ويخدمهن، وكان يميل إلى طائفة المساكين، وكان حسن العشرة مع سائر عبادالله.

وكان حليما عظيم التواضع، لا يغضب من أحبابه ولا من أصحابه أبدا، وكان اذا طلب أحد من عباد الله أن يدعو له.. دعا له بالخير وحسن الخاتمة، واذا تعدى عليه أحد عفا عنه وسامحه، ولا يظهر له غيظا، وكل من عمل معه سوءا وضررا جازاه بالاحسان عملا بقوله تعالى: «إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها».

كان يطعم الفقراء ويُلبس العرايا، ويعود الضعفاء والمرضى، ويحمل الجنازة، ويُسلم على الكبير والصغير، ويُفشى السلام، وإذا رأى أعمى سأله أى مكان تريد حتى أوصلك إليه، وكان يتردد على أبواب المساكين ويستخبرهم عن حوائجهم.

●●●

وكان الإمام الرفاعى يملأ «قرب الماء» ويحملها على ظهره وعلى كتفه ويوصلها إلى منازل النساء الأرامل.. وكان يجمع الحطب ويوصله بنفسه إلى بيوتهن، ولما رأى تلاميذه منه ذلك صاروا يحملون الحطب والماء ويوصلونه إلى بيوت المساكين، وكان بعضهم يبيع الحطب ويشترى به خبزا ويعطيه للفقراء، ومن كثرة ما كانوا يفعلون ذلك، ترك أهل «أم عبيدة» شراء الحطب من الحطابين.

وكان أهل «أم عبيدة» هم الذين أطلقوا على الإمام الرفاعى: رجل بعشرة آلاف رجل.

وكان الرفاعى ينظف المساجد ويكنسها واذا مشى فى طريق لا يلتفت يمينا ولا شمالا..

وكانت اذا حضرت الصلاة لا يقدم عليها شيئا من أمر الدنيا..

وحدث يوما أنه عطش فطلب أن يشرب فسمع المؤذن فقال أمر الصلاة أوجب وأحق، بالتقديم على كل شىء وترك الشرب وقام للصلاة، وقال إن شرب الماء من حظوظ النفس وشهواتها، والصلوات من شئون الذات العلية واعتباراتها..

وتذكر كتب السيرة الرفاعية إن الإمام الرفاعى كان يُحث أتباعه على طلب الغلم والعمل..

وقيل أنه كان يشترط على كل من يستمع إلى دروسه أن يكون له عمل.. فإن لم يكن له عمل ساعده فى البحث عن عمل..

وكانت تعاليمه: تقيدوا بأشغالكم حتى تشتغلوا عن الخلق وأحوالها.. واشتغلوا بما يكون لكم فيه الفائدة الدنيوية والأخروية..

رسالة الرفاعى.. للخليفة العباسى!

● وكان الإمام الرفاعى يُعلم أتباعه ألا يخضعوا لغير الله.. ولا يدينوا لغير كتاب الله وسنة رسوله..

وتذكر كتب السيرة الرفاعية ان الإمام الرفاعى قد كتب للخليفة العباسى المستنجد بالله ينصحه ويقول له: يا أمير المؤمنين.. ان أنت نفذت أحكام الله تعالى فى نفسك، نفذت أحكام كتبه فى ملكك.. وان عظمت أمر الله، عظم الله أعمالك وولاة الأمور من قبلك..

ويمضى الإمام الرفاعى فى خطابه إلى الخليفة العباسى فيقول: ثم زن يا أمير المؤمنين كل ما يصل إلى خويصة نفسك فى هذه الدنيا من طعام تأكله، وشراب تشربه، ورداء ترتديه.. واجعل الشره على الدنيا بقدر ذلك.. فإن رداءك ما سترك، وطعامك ما أشبعك، ومالك مالك منه شىء.

وعليك بالعقل والدين.. وإياك وأرباب القسوة بالغدر

والضلالة.. فهم أعداؤك.. واذا أحببت فحكم الانصاف فى عملك.. واذا كرهت فأذكر الله.. والخطأ فى العفو خير من الخطأ فى العقوبة.. وساو بين الناس برا وفاجرا.. مؤمنا وفاجرا..

وكان من تعاليم الإمام الرفاعى لأتباعه: لا تتواضعوا للأغنياء ولأبناء الدنيا.. ولا تنهضوا لهم.. ولا تقربوا أبوابهم وان دعوكم.. فإن أبناء الدنيا ان أكرمتهم أهانوك، وان أحببتهم أبغضوك.. فأعز نفسك عن صحبتهم وخدمتهم فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن القرب منهم والتواضع لهم..

وكان ينهى أتباعه عن زيادة الكلام وكثرة الطعام، وكان يمنعهم من صحبة الأشرار، ومن المزاح، ويقول لهم ان المزاح يتولد عنه البغض والحسد والعداوة.

وكان الرفاعى يطالب أتباعه بأن يكونوا مثالا لما يعظون الناس به..

وقال: اذا قال لك أحد أنا صعدت إلى السماء أو أنا أصعد إلى السماء فصدقه ولا تكذبه، فإن كان كاذبا فكذبه عليه ولا يغيرك منه شىء، وان كان صادقا وكذبته أو أنكرت عليه فالضرر حاصل لك أنت.

وقال: اذا كنت تعرف علما منتفعا به فعلمه للناس حتى ينتفعوا به ويظهر أثرك فى الدنيا والآخرة.

وقال: ولا يكون أحقر وأرذل من عبد ليس بينه وبين عبادالله ألفة ومحبة، بل مثل هذا لا يكون به نفع.

وكان يدعو إلى مساعدة اليتامى ويقول: اذا رأيت يتيما يبكى تهتز مفاصلى وترعد أعضائى ضانا وشفقة عليه وأخاف من بكائه.

وكان يقول: العشق له ثلاثة أحوال محمودة.. الأكل القليل،

والنوم القليل، والكلام القليل.. فنتيجة الأول النوم القليل، ونتيجة الثانى العقل والفراسة، ونتيجة الثالث الحكمة.

وكان الإمام الرفاعى يُنهى عن التفاخر بالحسب أو النسب ويقول: نحن من قوم لا يفتخرون بأبائهم ولا بأجدادهم ولا بحسب ولا نسب، وإنما يفتخرون بالتقوى والدين.. وهكذا القوم.

ويذكر صاحب كتاب «النجم الساعى» ان السيد الصالح ابن الرفاعى سأله أباه: هل رأيت ليلة القدر؟ فقال له: نعم رأيتها فى السابع عشر من رمضان.

ونُقل عن الرفاعى قوله: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها» ثم قال الرفاعى: واليوم ظهور دولة الرفاعية.

وكان الإمام الرفاعى يدعو إلى الشفقة بالحيوان.. ويذكر الشيخ سيد الشبلنجى فى كتابه «نور الابصار» ان كلبا مرض فأخذه الرفاعى وخرج به إلى البرية وصار يسقيه ويدهنه حتى عافاه الله.. فقيل له: أتعتنى بكلب كل هذا الاعتناء؟ فقال: نعم خفت أن يؤاخذنى فى الله يوم القيامة ويقول أما عندك رحمة لهذا الكائن؟ أما تخشى ان ابتليك بما ابتليت به هذا الكلب؟

● وللإمام الرفاعى ألقاب متعددة.. فهو فضل العارفين وسيد المشايخ، وصلاح الدين، ومحيى الدين، وأبو صالح، وأبو الصفا، وأبو العلمين، والرفاعى الكبير..

وقد سأل الشيخ عمادالدين الزنجى وهو من كبار المريدين للإمام الرفاعى: لماذا ياسيدى اشتهرت بالرفاعى؟

فقال الإمام الرفاعى: كنت يوما جالسا فى عرفات فإذا جماعة من الأولياء وأهل الطريق فى ذلك المجلس.. والتفت فى جانبى

فرأيت سيد المرسلين فقال: يارفاعى قد ارتفعت درجتك فى الدنيا والآخرة.. بشارة لك..

فصار اسمى من ذلك اليوم مشهورا بالرفاعى بين أهل الحضرة لأنهم سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم.

●●●

● وقد اشتهر الرفاعية بالسيطرة على الثعابين والحيات، ومواجهة النيران، وغرس السكاكين فى أبدانهم دون أن تسيل منها الدماء، وغير ذلك من الأفعال الخارقة التى يعدونها من الكرامات التى اختصوا بها.. ورغم أن هذه الأفعال وردت فى كل الكتب التى تتحدث عن أتباع الرفاعية، فإننا لا نجد فى سيرة الإمام الرفاعى نفسه ما يؤكد أو يثبت انه أتى هذه الأفعال..

فنحن لم نقرأ عنه أنه أمسك بثعبان، أو احتفظ فى جيبه بثعبان، أو كانت فى بيته ثعابين.. ولم يعرف عنه أنه كان يأكل الحيات، ويواجه النيران ويدخل إلى الأفران، ويغرس السكاكين والآلات الحادة فى جسمه دون أن تحدث له جروح أو تسيل منه الدماء.

لم يفعل الرفاعى شيئا من ذلك كله.. لكن بعض الكتب مثل «النجم الساعى فى مناقب القطب الكبير الرفاعى» تقول ان الله سبحانه وتعالى قد سخر الحيوانات والأفاعى لأحمد الرفاعى. وهو سخرها لمريديه.

وبعض الكتب ترجع ذلك إلى فضل الله عليهم وبركته، وإلى «السر الالهى» الذى وضعه الله سبحانه فى «حزبهم الصغير».. وهذا الحزب الصغير هو من أوراد الرفاعى وأدعيته الكثيرة التى تركها..

ويذكر ابن خلكان فى حديثه عن الرفاعية أن لهم أحوالا عجيبة

مثل أكل الحيات وهى حية، والتنانير فى التناير وهى تضرم نارا فيطفئونها وينام أحدهم فى جانب الفرن والخباز يخبز فى الجانب الآخر، وتوقد لهم النار العظيمة فيرقصون فيها إلى أن تطفأ، ويركبون الأسد.

وتقول الدكتورة سعاد ماهر أننا إذا رجعنا إلى الديانات الهندية القديمة لوجدنا فى الديانة الجينية التى تجعل الجسد فى خدمة الروح ما يفسر بعض ما يأتيه الرفاعية من أعمال غريبة.

حكاية «رفاعى مصر»؟

● قليلون هم الذين يعرفون أن «رفاعى مصر» هو أحد أحفاد الإمام الرفاعى..

ويطلق عليه أبناء الطريقة الرفاعية فى مصر «الرفاعى الصغير»..

والرفاعى الصغير اسمه الشيخ على أبو شباك..

والشيخ على أبو شباك هو ابن أحمد الصياد.. حفيد الإمام الرفاعى..

وتذكر كتب السيرة الرفاعية أن أحمد الصياد كان من أحب الأحفاد وأقربهم إلى قلب جده الإمام الرفاعى..

وقد طاف أحمد الصياد، بعد وفاة جده، بكثير من البلاد الاسلامية.. ثم جاء إلى مصر عام ٦٨٣ هجرية..

ويذكر الباحثون أن أحمد الصياد تزوج من حفيدة الملك الأفضل أحد أمراء المماليك فى عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون فأنجب منها ولده «على».. وقد رحل أحمد الصياد حفيد الإمام أحمد الرفاعى عن مصر قبل أن يولد ابنه على.. فبقى على فى كنف أمه وأهلها فى مصر، واتخذ طريقة جدة الصوفية، وأخذ يدعو لها.. وجعل من سكن أسرته وعائلته فى سوق السلاح مقرا للطريقة الرفاعية..

وتقول الدكتورة سعاد ماهر ان «على أبو شباك» حفيد الرفاعى لم يكن هو أول من دعا إلى الرفاعية فى مصر.فقد سبقه إلى ذلك الشيخ أبو الفتح الواسطى الذى وفد إلى مصر من العراق فى أوائل القرن السابع الهجرى، أى قبل على أبو شباك بنصف قرن تقريبا، وأقام بمدينة الاسكندرية وبدأ ينشر الصوفية على الطريقة الرفاعية.

● أما عن مسجد الرفاعى فى مصر وقصة بنائه.. فالرفاعية يقولون إن خوشيار هانم - أم الخديو اسماعيل - كانت قد أصيبت بلدغة ثعبان أثناء مشاهدتها لحفل ملكى فى قصر ابنها الخديو اسماعيل.. وان الذى عالجها كان أحد الرفاعية.. فقررت بناء هذا المسجد باسم الرفاعى، وأوقفت ٢٠ ألف فدان للانفاق عليه.

وقد جاء بناء مسجد الرفاعى تحفة تضارع مسجد السلطان حسن الذى يجاوره فى ضخامته وارتفاعه وفى دقة زخارفه وروعتها وجمالها.

وللمسجد مئذنتان ترتفعان فى رشاقة وجمال فوق قواعد مستديرة تشبه برجين ضخمين على جانبى مدخلى المسجد.. وبين المئذنتين توجد قبة الشيخ يحيى الأنصارى..

● وفى مسجد الرفاعى توجد مقابر الخديو اسماعيل وزوجاته وبناته وأولاده.. وفيه دُفن سرا الملك فاروق عندما نقلت رفاته من ايطاليا.. وفيه أيضا دفن شاه ايران فى نفس المكان الذى كان قد دفن فيه والده من قبل عندما توفى فى منفاه بالحبشة.

وقيل انه عندما نُقلت رفاته إلى طهران أيام الملك فاروق اكتشفوا سرقة سيفه الذى كان موضوعا إلى جوار رفاته.. واتهم الملك فاروق وقتها بسرقة السيف!

●●●

● وكالعادة، فى كل عام، يتوافد أبناء الطريقة الرفاعية فى مصر، على مسجد الإمام الرفاعى للاحتفال بمولده..

ويزحف عشرات الألوف من الأتباع والمريدين والمحبين للإمام الرفاعى من مختلف مدن وقرى مصر..

ويزدحم بهم المسجد، والشوارع المحيطة، والميدان الكبير الذى يطل عليه المسجد، وهو ميدان صلاح الدين الذى يعرفه الشيوخ باسمه القديم وهو ميدان الرميلة..

وتقام السرادقات، وتنحر الذبائح، وترتفع البيارق والرايات بأسماء شيوخ الطريقة الرفاعية وتدق الطبول، وتقام حلقات الذكر، وتتهدج الأصوات بالأناشيد الدينية والابتهالات.

وتأتى الليلة الكبيرة، التى تبدأ احتفالاتها من بعد صلاة العصر.. ويشترك كل أبناء الطريقة الرفاعية فى مسيرة تبدأ من ميدان سيدنا الحسين وتأخذ طريقها إلى ميدان صلاح الدين.. حيث مسجد الإمام الرفاعى وضريح حفيده..

والطريقة الرفاعية تضم قسمين.. المريدين والتابعين.. ويبدأ التدرج من مريد إلى خليفة، ثم إلى خليفة خلفاء، فنائب وهو الذى ينوب عن شيخ الطريقة.

والانضمام إلى الطريقة يتطلب الانتماء إلى شيخ من شيوخ الطريقة.. استنادا لقول الإمام الرفاعى: من لا شيخ له. فشيخه الشيطان.

وكان الرفاعى الكبير، يكره أن يتشبه بالعظماء، أو أن يقوم له الناس كلما حضر أو انصرف، بل إنه رفض أن يتخذ خادما يعينه فى حاجاته، وكان يقول لكل من يسأله أن يستريح ويتفرغ للتدريس والعلم وتوجيه مريديه: ومن أين لى أجر الخادم الذى يعيننى ودخلى محدود؟

وعندما كان تلاميـذه يعرضون عليه استعـدادهم لمعونته، كان رده الدائم عليـهم: ان العـلم الذى أعطيـه لا أجـر عليـه، وكل من يستغل تلاميـذه ومحبيه من أجل اثراء أو جاه دنيوى، فـقد خسر الدنيا والآخرة.

●●●

وقيل أن سيـدى أحمد الرفاعى وهو فى مرضه الأخـير، عندما أدرك أن الرحيل قد حـان، وكان أحباؤه ومريدوه قد تجـمعوا من حوله.. كانت آخر كلماته لهم:

ـ لا تسبونى..

فتعجب تلاميذه ومحبوه ومريدوه.. وقالوا له:

ـ كيف نسبك وأنت إمامنا؟!

فقـال لهم: تقـولون قولا لم أقله.. وتفـعلون شيـئا لم أفـعله.. اعلموا أن كل شىء خرج عن الكتاب والسنة، فليس منا.

رحلة أولياء الله
فى
مصر المحروسة

٥

عن الذكر .. والدعاء
فى أحزاب وأوراد الأولياء

أحزاب الطريقة الأحمدية
ونصائح سيدى أحمد للمريدين

الحزب الصغير: للوقاية
من العين والجن والجنون

الحزب الكبير: للتوبة
وتفريج الكرب والغمة

الأوراد للصلوات الخمس
وكل ليلة لها ورد خاص

وللذكر والدعاء أهمية كبرى فى الاسلام.
ذكر الله.
والدعاء إلى الله.
والذكر من أهم الخصائص والمميزات للطرق الصوفية.

يقول الله تعالى محببا فى الذكر، وداعيا إليه بطريقة من أسمى الطرق وأجملها.

● «فاذكرونى أذكركم».

وقد دعا الله سبحانه إلى الذكر بشتى الطرق، فقد دعا إليه بصيغة الأمر، ودعا إليه طالبا الإكثار منه، فقال سبحانه:

● «ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا، وسبحوه بكرة وأصيلا».

ودعا إليه سبحانه فى جميع الحالات التى يكون الانسان عليها من قيام، أو جلوس، أو على جنبه:

● «اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم».

وجعل سبحانه الذكر احدى الصفات التى يتحلى بها أولو الألباب:

● «ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم».

وأخبر الله سـبحانه أن الذكر علاج للقلق والضـيق والهم فقال سبحانه:

● «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكـر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب».

على أن الرضى، وهدوء النفس، وطمأنينة القلب، والسكينة.. ان كل ذلك يكون نتيجة للذكر، يقول تعالى:

● «فـاصبـر على مـا يقولون، وسـبح بحـمد ربك قـبل طلوع الشمس وقبل غروبهـا، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى».

أما فى الآخرة فإنه سبحانه يقول:

● «والذاكرين الله كثـيرا والذاكرات أعد الله لهم مغـفرة وأجرا عظيما».

● ولقـد حـبب رسـول الله صلى اللـه عليـه وسلم فى الذكـر بمختلف الأساليب، وبشتى الأنحاء، وكان هو نفسه قدوة فى ذلك، تقول السيدة عائشة رضى الله عنها:

كان صلى الله عليه وسلم، يذكر الله على كل أحيانه.

وكلمة على كل أحيانه كلمـة شاملة، انها تعنى الأوقات وتعنى، بالتـبع لذلك، الأحوال فـهو، صلى الله عليـه وسلم كان يذكـر الله صبـاحا ومـساء وكان يـذكره فيـما بين ذلك وكـان يذكره قـائما وقاعدا وعلى جنبه.

ويقول صلى اللـه عليه وسلم، عن الله فى حـديث قدسـى رواه الشيخان:

● «أنا عند ظن عبـدى بى وأنا معه حين يذكـرنى، فإن ذكرنى فى نفسـه ذكرته فى نفسـى، وان ذكرنى فى ملأ ذكـرته فى ملأ خير منه، وإن تقـرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعـا، وان اقترب إلى

ذراعا اقتربت إليه باعا، وأن أتانى يمشى أتيته هرولة».

ويرشد صلى الله عليه وسلم، فيما رواه الإمام أحمد، إلى أنه:

● «مـا عمل آدمى عـملا قط أنجـى له من عذاب الله ، من ذكـر الله».

ويبين صلى الله عليه وسلم أن:

مثل الذى يذكر ربه، والذى لا يذكره، مثل الحى والميت.

وكما ينال الذاكر رضـاء الله وثوابه، وكما ينفع الذكر فى الدار الآخـرة: فإنه ينفع فى هـذه الحيـاة الدنيا يقـول صلى الله عليـه وسلم فيـما رواه أبو داود والنسـائى والحاكم وصحـحه، عن ابن عباس:

«من لزم الاسـتغـفار جـعل الله له من كل هـم فرجـا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب».

عن الذكر: أنواعه.. وأحكامه.. وآدابه

وللذكر عدة أنواع..

فمنه ما هو ثـناء على الله مثل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

ومنه ما هو دعاء مثل: «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا».

ومنه ما هو مناجاة مثل موقف المصلى فى الصلاة.

ومنه ما هو للـرعاية فى الدنيا مـثل طلب حمايـة الله، والنصر على الأعداء والشيطان..

ويعتـبر ابن عطاء الله السكندرى الصـلاة على النبى صلى الله عليه وسلم نوعا من الذكر فيقول: قال تعالى فى كتابه العزيز: «إن الله وملائكتـه يصلون على النبى يا أيهـا الذين آمنوا صلوا عليـه وسلموا تسليما». ومن هنا فإنا نعتبر الصلاة على النبى ذكرا.

وفى الحديث الشريف «الصلاة على النبى نور».

ومن أحكام الذكر النطق السليم لكلمة «لا إله إلا الله».

ومن آداب الذكـر: الخـشوع والتـأدب واسـتـحضـار المعـانى ومحـاولة التأثر بهـا، وملاحظة مـقاصدها وأغـراضهـا، وخفض الصوت، وقـد أشارت الآية الكريمـة إلى هذه الآداب فقـال تعالى: «واذكر ربك فى نفسك تضرعـا وخيفـة ودون الجهـر من القول بالغـدو والآصـال ولا تكن من الغـافلـين».. والنظافـة فى الثـوب والمكان.

● عن الدعاء

يقول الله تعـالى: «وإذا سألك عـبادى عنى فإنى قـريب أجيب دعوة الداعى إذا دعانى».

وقـد أمـر اللـه سـبـحـانه الانسـان أن يدعـوه، وهدد الذين يستكبـرون عن دعائه: وفى حـديث رواه الإمام أحمـد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«إن الدعاء هو العبادة» ثم قرأ:

«ادعـونى استـجب لكم، ان الذين يسـتكبـرون عن عـبـادتى سيدخلون جهنم داخرين».

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال:

«الدعاء مخ العبادة».

وعن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«ليس شىء أكرم على الله من الدعاء».

الدعاء يرد القضاء

وروى ابن عمر عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: «من فتح له باب الدعـاء فتحت له أبواب الرحـمة، وما سـئل الله تعالى شيئا أحب إليه من أن يسأل العافية، وأن الدعاء ينفع مما نزلِ ومما

لم ينزل، ولا يرد القضاء إلا الدعاء، فعليكم بالدعاء».

وتقـول السيـدة عائشـة رضى الله عنهـا ـ فيـما رواه البـزار والحاكم وصححه ـ:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لا يغنى حـذر من قـدر، والدعاء ينـفع مما نزل ومما لم ينزل، وان البلاء لينزل، فيتلقاه الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة».

وروى الترمـذى عن سيـدنا سلمان الفـارسى: ان رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال:

«لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر».

ولقبول الدعاء شروط منها:

١ ـ التوبة الخالصة النصوح.

٢ ـ وتحرى الحلال، فعن ابن عباس، فـيما أخرجه الحافظ ابن مردويه، تليت هذه الآية عند النبى، صلى الله عـليه.وسلم: «يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا» فـقام سعد ابن أبى وقاص فقال:

يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال:

«يا سـعد، اطب مطعـمك تكن مـستـجاب الدعـوة، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقـمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما، وايما عبـد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به».

عن أوقات الدعاء

والدعاء يصح فى كل وقت، بيـد أن هناك أوقاتا وأماكن أرجى فى الدعاء من غيرها، وقـد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أوقاتا لـلدعاء منها ثـلث الليل الأخيـر يقول صلوات الله وسـلامه عليه:

«ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول:

من يدعونى فاستجيب له؟

من يسألنى فأغفر له؟»

ولقد سئل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن أى الدعاء أسمع؟ فقال:

«جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبة».

وروى مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم:

«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء».

أما الأماكن الأرجى فى استجابة الدعاء، فانها الأماكن الطاهرة المباركة، وأشرفها الحرم المكى والحرم المدنى.

●●●

ومن أجل هذه الأهمية الكبرى للذكر وللدعاء فى الاسلام استفاض أولياء الله فى الذكر وفى الدعاء..

وكان لكل منهم طريقته.

وتعبر «الأحزاب والأوراد» المنسوبة لكل منهم عن طريقته فى الذكر وفى الدعاء..

ويحرص الأتباع والمريدون على أن يرددوا هذه الأحزاب والأوراد فى حياة شيخهم وبعد مماته.

والفرق بين الحزب والورد.. إن الورد يقرأ فى أوقات منتظمة، فيقال أوراد النهار وأوراد الليل.

أما الحزب فليس لقراءته وقت مخصوص.

●● والسؤال: ما هى الأحزاب والأوراد التى وضعها الأقطاب الأربعة، لأنفسهم وتلاميذهم وأتباعهم؟

وماذا تقول هذه الأحزاب والأوراد؟
هذا هو السؤال الذى نضع الإجابة عليه.
ونبدأ بأحزاب وأوراد الطريقة الأحمدية.

أحزاب الطريقة الأحمدية

وللطريقة الأحـمدية حـزبان شهيـران أيضا وضعـهما سـيدى أحمد البدوى وهما:

الحزب الصغير.

والحزب الكبير.

ويعتقـد أتباع الطريقة الأحمدية أن الحـرص على تلاوتهما فى الصباح والمساء، يحصن الانسان من الأشرار، ويحفظه من المكائد، ومن العين والحسد والجن، ويفرج كربته وغمته، وتكون له النجاة بإذن الله تعالى.

● والحزب الصـغير يـقول: بسم الله الرحمن الـرحيم، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحـبه أجمعين: لووا عما نووا فعمـوا وصموا عما طووا. (أى عطف أعداؤنا رؤوسـهم وأعرضوا عن السـوء الذى قصـدنا به، وصـرف الله قلوبهم عن أى ضـرر أرادوا انزاله بنا، فـعـميت أبصارهم وصـمت آذانهم عـمـا طوته ضمائرهم من الشر والأذى).

بسم الله الرحـمن الرحـيم. ألم تر كـيف فعـل ربك بأصحـاب الفـيل، ألم يجعل كـيدهم فى تضلـيل، وأرسل عليهم طيـرا أبابيل، ترميهم بحجـارة من سجيل، فجعلهم كعـصف مأكول. (والغرض من هذه السـورة انها تشيـر إلى سرعـة إهلاك من قصـد بالسوء أولياء الله والأماكن ذات الحرمة الدينية).

اللهم اكـفينهم بما شـئت (أى امنع عنى الأعـداء واكفنى القـوم اللئام كما منعت أصحاب الفيل من بيتك الحرام).

اللهم انى أعـوذ بك مـن شرورهـم وادرا بك فى نحـورشم. بـ أحاول وبك أقاتل، اللهم واقية كواقـية الوليد (أى اجعل لى وقاية وحماية مثل الوقـاية التى تهبها المولود الصغير) بكهـيعص كفيت، بحـمعـسق حـميت (أى بأسـماء الـله وأحرف الكاف والحـاء من أسمائه يحـتمى من السوء). فسيكفيكهـم الله وهو السميع العليم. ولا حول ولا قـوة إلا بالله العلى العظيم، وصلى الله على سـيدنا محمـد النبى الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمـا والحمد لله رب العالمين.

●●●

ويعـتـقد الأتـباع والمريـدون أن هذا الحزب هـو خيـر حـصن يتـحـصن به المرء من الأشـرار، وأن من يلازم تلاوته صـبـاحـا ومساء، بعد أن يتلو الفاتحة مائة مرة والصمدية مائة مرة، يحفظه الله تعالى من الأعـداء الباطنة والظاهرة، ومن مكائد الفـساق ومن العين والنظرة والحسد، ومن الجن والجنون. وكل داء فى الجسد.

● أما الحزب الكبير فيقول:

الحمـد لله رب العالمين، الرحمن الرحـيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصـراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضـالين.. آمين.

وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

الله لا إله إلا هو الحى القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما فى السموات ومـا فى الأرض، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بيـن أيديهم وما خلفـهم، ولا يحيطون بشىء من علـمه، إلا بما شاء وسع كـرسيه السـموات والأرض، ولا يؤوده حفظهـما وهو العلى العظيم.

ألم، الله لا إلا هو الحى القيوم، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه، وأنزل التـوارة والانجيل من قـبل هدى للناس، وأنزل

الفرقـان، إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شـديد، والله عزيز ذو انتقام، إن الله لا يخفى عـليه شـىء فى الأرض ولا فى السماء، هو الذى يصـوركم فى الأرحـام كيف يشـاء لا إله إلا هو العـزيز الحكيم.

● شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الاسلام.

ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شـىء فاعبدوه، وهو على كل شـىء وكيل.

اتبـع مـا أوحى إلـيك من ربـك، لا إله إلا هو وأعـــرض عن المشركـين، قل يأيها الناس إنى رسـول الله إليكم جميـعا الذى له ملك السـموات والأرض لا إله إلا هو يحـيى ويميت، فـآمنوا بالله ورسـوله النبى الأمى الذى يؤمـن بالله وكلمـاته واتبـعـوه لعلكم تهتدون.

وما أمـروا إلا ليعـبدوا إلها واحـدا لا إله إلا هو سبـحانه عـما يشـركون، فإن تـولوا فقل حـسبى الله لا إله إلا هو عليـه توكلت وهو رب العرش العظيم.

● حتى اذا أدركـه الغرق قـال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين، فإن لم يستـجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله، وأنه لا إله إلا هو عـليه توكلت وإليـه متـاب، ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشـاء من عباده، أن أنذروا انه لا إله إلا أنا فاتقون.

وإن تجهر بالقول فـإنه يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحـسنى، وأنا اخترتك فاسـتمع لما يوحى، اننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى، وأقم الصلاة لذكرى.

إنما إلـهكـم الله الذى لا إله إلا هو وسع كـل شـىء علمـا، ومـا

أرسلنـا من قـبلك من رســول إلا نوحى إلـيـه أنـه لا إله إلا أنا فاعبدون.

● وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه، فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إن كنت من الظالمين، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العـرش الكريم، ويعلم ما تخفـون وما تعلنون، الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم، وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون.

ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو، كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون.

يأيهـا الناس اذكروا نعـمة الله عليكم، هل من خـالق غيـر الله يرزقكم من السماء والأرض، لا إله إلا هو فأنى تؤفكون.

إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون.

ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون.

● حم، تنزيل الكتاب من الـله العزيز العليم، غافـر الذنب وقابل التوب شديد العقـاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير، ذلكم الله ربكم خـالق كل شىء لا إله إلا هو فـأنى تؤفكون، هو الحى لا إله إلا هو فـادعوه مـخلصـين له الدين، الحمـد لله رب العـالمين، رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين، لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين.

فاعلم انه لا إله إلا الله، واستغـفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات، والله يعلم متقلبكم ومثواكم.

هو الله الذى لا إله إلا هو عـالم الغيب والشـهادة، هو الرحـمن الرحيم، هو الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبـار المتكبر سبحـان الله عما يشركـون، هو الله الخالق

البارىء المصـور له الأسمـاء الحسنى يسـبح له ما فى السـموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

● الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

● رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا.

● اللهم إنى أســـألك بنور وجـهك الذى مـــلأ أركـان عـرشك، وأسـألك بطول حول شديد قوتك، وأســألك بدوام ديموم ديمومتك، وأسـألك بعزيز معتز عزتك، وأســألك بجلال كمال نعمتك، وأسـألك بمكنون تكـوين كـائن سـرك، وأســألك بما أنـارت به السـمـوات والأرض من خـــفى علمـك، وأســألـك باســـمك العظيم، وبـركنك الجـسيم، أن تفـك اللـهم كربـتى، وتفرج غـمـتى، وتقـيل عثـرتى، وتتـفضل على، إلهى بـنظرة منك تكون لى النجـاة بها فى الدنيـا والآخرة، انك على كل شىء قدير، يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قـوة إلا بالله العظيم، وصلى الـله على سـيدنا مـحـمـد وعلى آله وصحبه وسلم.

«أوراد» الطريقة الأحمدية

ولسـيدى أحـمد البـدوى «أوراد» كثـيرة، فكل ليلة لهـا «ورد» خاص.

والأوراد فى الطريقة الأحمدية مرتبطة بالصلوات الخمس، وقد حددها السيـد البدوى فى وصيته لخليـفته السيد عـبدالعال، وفى هذه الوصية يقول السيد البدوى:

. يا ولدى أوصـيك بتـقـوى الله فـى السـر والعـلانيـة، وعليك بملازمة السنة والجماعـة فى كل وقت، وبعد السلام من كل فرض تقرأ آية الكرسى مـرة، وسبحـان الله ثلاثا وثلاثين مرة، والحـمد لله كذلك، والله أكبـر كذلك، ولا إله إلا الله محمـد رسول الله مرة واحدة، والاستـغفار مائة مرة والصـلاة على النبى صلى الله عليه

وسلم مائة مرة، وتذكر الله ثلاثمائة مرة.

وان قدرت على تلاوة ذلك عقب كل فرض كان مفتاح كل خير، وإن لم تقدر فعـقب الصبح والعشاءين (أى المغـرب والعشاء) وإلا فكل يوم مرة عـلى الدوام، واذا تأخرت عن التلاوة يومـا تعيـد ما فـاتك كله وقت القـضــاء، فـإن الأوراد مطـلوبة من المريد، وكـذا مـلازمة صـوم يوم الاثنين والخـميس، لما فى ذلك من الأحـاديث الشـريفة، وأعلم يا ولدى أن صلاة ركعتين فى جوف الليل خير لك من صلاة ألف ركعة بالنهار.

ونأتى للأوارد التى وضعـها السيد البـدوى لكل ليلة على مدار الاسبوع، وأوصى خليفته السيد عبدالعال بتلاوتها، وهى:

ورد ليلة الأحـد: اللهم صلى على سـيـدنا محـمـد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم (مائة مرة) ثم تقول الحمد لله والله أكبر (أكثر من مائة مرة).

ورد ليلة الاثنين: سبوح قدوس (أكثر من مائة مرة).

ورد ليلة الثلاثاء: سبحان القادر المقتدر (أكثر من مائة مرة).

ورد ليلة الأربعـاء: سبحـان ذى الملك والملكوت (أكثـر من مائة مرة).

ورد ليلة الخميس: سبحان الله وبحمده (ألف مرة).

ورد ليلة الجمـعة: اللهم صلى على سـيدنا محـمد النبى الأمى وعلى آله وصـحبه وسلم (ألف مرة).

ورد ليلة السبت: لا حول ولا قـوة إلا بالله العلى العظيم (مائة مرة).

أما عن الصلوات فهناك أكثر من صلاة منسوبة للسيد البدوى، لكن أشهرها هى الصلاة التى يقول فيها:

«اللهم صلى وسلم وبارك على سيـدنا ومولانا محمـد، شجرة

الأصل النورانيـة، ولمعة الـقبـضة الرحـمانـية، وأفـضل الخليفـة الانسانية، وأشرف الصورة الجسمـانية، ومعدن الأسرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفـائية، صاحب القبـضة الأصلية، والبـهجة السنية، والرتبـة العلية، من اندرجت النبيـون تحت لوائه، فهم منه وإليه، وصل وسلم وبارك عليـه وعلى آله وصحبه عـدد ما خلقت ورزقت، وأمت وأحيـيت، إلى يوم تبعث من أفنيت، وسلم تسليـما كثيرا، والحمد لله رب العالمين.

وصايا سيدى أحمد لخليفته وماذا يقول عن الذكر والزهد؟

والطريقة الأحمدية التى أرسى دعائمهـا سيدى أحمد البدوى لا تتضح أركـانها فى مظاهرها وتقاليـد اتباعها، ومـا يرتبط بها من حزب وأوراد فحـسب، وإنما تتضح أكثر وأكثـر فى اسلوب السيد البـدوى فى تربية مـريديه، والمبادىء التى حـرص على تزويدهم بها، والتى تكشف عنها أقواله.

فـفى حديثـه إلى تلاميـذه ومريديه قـال السيـد البدوى: لقـد أعجبنى مـا قاله حسن البصرى رضـى الله عنه: «صـحـبت الفقراء (أى المتصوفـة) ثمانين سنة كاملة فتعلمت منهم ست مـسائل تعد من جواهر الحكمة».. وهـى:

- من لم يكن عـنده علم لم تكن له قـيـمـة فـى الدنيـا ولا فى الآخرة.
- من لم يكن عنده حلم لم ينفعه علم.
- من لم يكن عنده سخاء لم يكن له فى ماله نصيب.
- من لم يكن عنده شفقة على عبـاد الله، لم يكن له شفاعة عند الله.

- من لم يكن عنده صبر ليس له فى الأمور سلامة.
- من لم يكن عنده تقوى ليس له منزلة عند الله تعالى.

●●●

ونقل عن السيد البدوى انه قال: ان «للفقـر» ـ أى التصوف ـ اثنتى عشرة علامـة، استنادا لما روى عن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه رأى فـقيرا (أى مـتصوفـا) يتمـشى فى سوق البصرة وهو يتبختر فى مشيته، فقال له الإمام على: من أنت؟ فرد قائلا: فـقير. فـقال له الإمام علـى: وما علامـة الفقر؟ فـقال: منك يؤخذ العلم يا أبا الحسن. فـقال له الإمام على: للفقير اثنـتا عشرة علامة هـى:

أولا: أن يكون عارفا بالله تعالى.

ثانيا: أن يكون مراعيا لأوامر الله تعالى.

ثالثا: أن يكون متمسكا بسنة النبى صلى الله عليه وسلم.

رابعا: أن يكون دائما على الطهارة.

خامسا: أن يكون راضيا عنه الله تعالى فى كل حال.

سادسا: أن يكون موقنا بما عند الله تعالى.

سابعا: أن يكون آيسا مما فى أيدى الناس.

ثامنا: أن يكون متحملا للأذى.

تاسعا: أن يكون مبادرا لأمر الله تعالى.

عاشرا: أن يكون شفوقا على الناس.

الحادية عشرة: أن يكون متواضعا للناس.

الثانية عشرة: أن يعلم ان الشيطان عدو له، كما أخبر الله تعالى بقوله: «إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا».

فلما سمع الفقير ذلك مـن الإمام على نزع خرقته وقال: «والله لا ألبسـها بعد هذا اليوم أبدا»!

●●●

● سأل السيد عبدالعال شيخه السـيد البدوى: ما حقيقة التوبة النصوح؟ فقال الشـيخ: حقيقتها الندامـة على ما مضى من الذنب والاقلاع عن المعصية والاستغفار باللسان والعزم على أن لا يعود إلى المعصيـة، والصفاء بالقلب. فهذه التـوبة النصوح التى أمر الله تعـالى بها وذكـرها فى كتـابه العزيز فـقال: «يا أيهـا الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا».

● وسأل السيد عبدالعال: وما حقيقة الذكر؟

قال السـيد البـدوى: أن يكون بالقلب ولا يكون باللسـان فقط، فإن الذكر باللسـان دون القلب شقشـقة.. وقال: يا عبدالعال.. اذكر الله تعالى بقلب حاضر وإياك والغـفلة عن الله تعالى، فإنها تورث القسوة فى القلب.

● وسأل السيد عبدالعال: وما حقيقة الصبر؟

قـال السـيـد البـدوى: الصـبر هـو الرضـا بحكم الله تعـالى، والتسليم لأمر الله تعـالى، وأن يقبل بالمصيبة كما يـفرح بالنعمة، قال الله تعالى: «وبشر الصابرين».

● وسأل السيد عبدالعال: وما حقيقة الزهد فى الدنيا؟

قال السيد البدوى: مخالفة النفس بترك الشهوات الدنيوية وأن يترك سبعين بابا من الحلال مخافة أن يقع فى الحرام.

● وسأل السيد عبدالعال: وما حقيقة الوجد؟

قال السيد البدوى: الوجد على أوجه منها أن يكثر ذكر الحق لا إله إلا هو، ومنها أن يقذف نور فى قلب الذاكـر من قبل الله تعالى فيقشعر منه جلده، فيـشتاق إلى المحبوب لا إله إلا هو ويلحقه من قبل الله تعالى الوجد.

● ومن وصـاياه لخليفـته عـبدالعـال يقول السـيد البـدوى: يا

عبـدالعال لا تشـمت بمصيبـة أحد من خلق الله تعـالى، ولا تنطق بغيـبة ولا نميمة، ولا تؤذ من يؤذيك، واعف عـمن ظلمك، وأحسن لمن أساء إليك، واعط من حرمك.

ياعبـدالعال، إياك وحب الدنيـا، فإنه يفسـد العمل الصالح كـما يفسد الخل العسل، واعلم أن الله تعـالى قال فى كتابه المكنون «إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون».

ياعبدالعال، أشفق على اليتـيم، واكس العريان، واطعم الجيعان، وأكـرم الغـريب والضيـفـان، عـسى أن تكون عند الله تعـالى من المقبولين.

عن الذكر .. والدعاء
فى أحزاب وأوراد الأولياء

أحزاب الطريقة الشاذلية

حزب البحر : لطلب الغفران والعصمة من الشكوك والنصر على الأعداء

حزب البر : لدفع الضر والتوبة وبسط الرزق وقضاء الحاجات

ونبدأ بالأحزاب التى وضعها سيدى أبوالحسن الشاذلى، والتى يلتزم بها أتباع الطريقة الشاذلية.

ولسيدى أبوالحسن الشاذلى عدة أحزاب، نذكر منها حزبين شهيرين هما:

حزب البحر.. المعروف بالحزب الصغير.

وحزب البر. المعروف بالحزب الكبير.

وحزب البحر يمزج الذكر بالدعاء، ويقرأ بعد العصر لقضاء الحاجات.

وهو يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم ياعلى، ياعظيم، ياحليم، يا عليم ، أنت ربى، وعلمك حسبى، فنعم الرب ربى، ونعم الحسب حسبى، تنصر من تشاء، أنت العزيز الرحيم.

أسألك العصمة فى الحركات والسكنات والكلمات والارادات والخطرات، من الظنون والشكوك والأوهام الساترة للقلوب، عن مطالعة الغيوب، فقد ابتلى، المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا، واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا، فثبتنا وانصرنا، وسخر لنا هذا البحر، كما سخرت البحر لموسى وسخرت النار لابراهيم، وسخرت الجبال والحديد لداود، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان، وسخر لنا كل بحر

هو لك فى الأرض والسماء والملك والملكوت، وبحر الدنيا وبحر الآخرة، وسخر لنا كل شىء يا من بيده ملكوت كل شىء، كهيعص (ثلاثا)، انصرنا فإنك خير الناصرين، وافتح لنا فإنك خير الفاتحين واغفر لنا فإنك خير الغافرين، وارحمنا فإنك خير الراحمين، وارزقنا فإنك خير الرازقين، واهدنا ونجنا من القوم الظالمين، وهب لنا ريحا طيبة كما هى فى علمك، وانشرها علينا من خزائن رحمتك، واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية فى الدين والدنيا والآخرة، انك على كل شىء قدير، اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا، وأبداننا، والسلامة والعافية فى ديننا ودنيانا، وكن لنا صاحبا فى سفرنا وخليفة فى أهلنا، واطمس على وجوه أعدائنا، وامسخهم على مكانتهم فلا يستطيعون المضى، ولا المجىء إلينا، ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون، ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون، يس، والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين على صراط المستقيم، تنزيل العزيز الرحيم، لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون، لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون، إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون، وجعلنا من بين أيديهم سدّا، ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون، (شاهت الوجوه) ثلاثا، وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما، طس حم، عسق، مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان، حم، حم، حم، حم، حم، حم، حم، حم، حمّ الأمر، وجاء النصر، فعلينا لا ينصرون، حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذى الطول، لا إله إلا هو إليه المصير، بسم الله بابنا تبارك حيطاننا، يس سقفنا، كهيعص كفايتنا، حم عسق حمايتنا، فسيكفيكهم الله وهو السميع

العليم (ثلاثا) ستر العزيز مسبول علينا، وعين الله ناظرة إلينا، بحول الله لا يقدر أحد علينا، والله من ورائهم محيط، بل هو قرآن مجيد، فى لوح محفوظ، فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين (ثلاثا) إن وليى الله الذى أنزل الكتاب، وهو يتولى الصالحين (ثلاثا) حَسْبى الله، لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم (ثلاثا).

بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم (ثلاثا)، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ثلاثا)، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (ثلاثا).

عن حزب البر.. الحزب الكبير

والوقت المختار لقراءة هذا الحزب - فى العرف الشاذلى - بعد صلاة الصبح، ولا يتكلم المريد عند تلاوته، وقد روى عن أبى الحسن الشاذلى انه قال: من قرأ حزبنا هذا فله مالنا وعليه ما علينا.

وتقول كلمات هذا الحزب:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءًا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح، فإنه غفور رحيم، بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وخلق كلَّ شىء وهو بكل شىء عليم، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

● ألر، كهيعص، حم، عسق، رب احكم بالحق، وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون، طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى، تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى، الرحمن على العرش استوى، له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، اللهم إنك تعلم انى بالجهالة معروف، وأنت بالعلم موصوف، وقد وسعت كل شىء من جهالتى بعلمك، فسع ذلك برحمتك كما وسعته بعلمك، واغفر لى إنك على كل شىء قدير.

● يا الله، يا مالك، يا وهاب، هب لنا من نعماك ما علمت لنا فيه رضاك، واكسنا كسوة تقنا بها من الفتن فى جميع عطاياك، وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصا مما استأثرت به فى علمك عمن سواك.

يا الله ياعظيم، ياعلى ياكبير، نسألك الفقر مما سواك، والغنى بك، حتى لا نشهد إلا إياك، والطف بنا فيهما لطفا علمته يصلح لمن والاك، واكسنا جلابيب العصمة فى الأنفاس واللحظات، واجعلنا عبيدا لك فى جميع الحالات، وعلمنا من لدنك علما نصير به كاملين فى المحيا والممات، اللهم أنت الحميد الرب المجيد الفعال لما تريد، تعلم فرحنا بماذا ولماذا وعلى ماذا، وتعلم حزننا كذلك، وقد أوجبت كون ما أردته فينا ومنا ولا نسألك دفع ما تريد، ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد، كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك، إنك على كل شىء قدير.

● اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فهنيئا لمن عرفك فرضى بقضائك، والويل لمن لم يعرفك، بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك،

اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا، فكل عز يمنع دونك نسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك، وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقد تصحبه أنوار محبتك، فإنه قد ظهرت السعادة على من أحببته، وظهرت الشقاوة على من غيرك ملكه فهب لنا من مواهب السعداء، واعصمنا من موارد الأشقياء.

● اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا، من حيث تعلم بما تعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم، وقد أمرتنا ونهيتنا، والمدح والذم ألزمتنا، فأخو الصلاح من أصلحته، وأخو الفساد من أضللته، والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك، والشقي حقا من حرمته من كثرة السؤال لك، فاغننا بفضلك عن سؤالنا منك، ولا تحرمنا من رحمتك مع كثرة سؤالنا لك، انك على كل شيء قدير.

● يا شديد البطش، ياجبار، ياقهار، ياحكيم، نعوذ بك من شر ما خلقت، ونعوذ بك من ظلمة ما أبدعت، ونعوذ بك من كيد النفوس فيما قدرت وأردت، ونعوذ بك من شر الحساد على ما أنعمت، ونسألك عز الدنيا والآخرة، كما سألك نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عز الدنيا بالايمان والمعرفة، وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة، انك سميع قريب مجيب.

● اللهم إني أقدم إليك بين يدى كل نفس، ولمحة، وطرفة، يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض، وكل شيء هو في علمك كائن، أو قد كان، أقدم إليك بين يدى ذلك كله، الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه

السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم.

● أقسمت عليك ببسط يديك، وكرم وجهك، ونور عينيك، وكمال أعينك، أن تعطينا خير ما نفذت به مشيئتك، وتعلقت به قدرتك، وأحاط به علمك، واكفنا شر ما هو ضد لذلك، وأكمل ديننا، وأتم علينا نعمتك، وهب لنا حكمة الحكمة البالغة مع الحياة الطيبة والموتة الحسنة، وتول قبض أرواحنا بيديك، وحل بيننا وبين غيرك فى البرزخ وما قبله وما بعده بنور ذاتك وعظيم قدرتك وجميل فضلك إنك على كل شىء قدير، يا الله ياعلى، ياعظيم، ياحليم، ياحكيم، ياسميع، ياقريب، يامجيب، ياودود، حل بيننا وبين فتنة الدنيا والنساء والغفلة والشهود وظلم العباد وسوء الخلق، واغفر لنا ذنوبنا، واقض عنا تبعاتنا، واكشف عنا السوء، ونجنا من الغم، واجعل لنا منه مخرجا، انك على كل شىء قدير.

● ياالله، ياالله، يالطيف، يارزاق، ياقوى، ياعزيز، لك مقاليد السموات والأرض، تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر، فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به إلى رحمتك، ومن رحمتك ما تحول به بيننا وبين نقمتك، ومن حلمك ما يسعنا به عفوك، واختم لنا بالسعادة، التى ختمت بها لأوليائك، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك، وزحزحنا فى الدنيا عن نار الشهوة، وادخلنا بفضلك فى ميادين الرحمة، واكسنا من نورك جلابيب العصمة، واجعل لنا ظهيرا، من عقولنا، ومهيمنا من أرواحنا، ومسخرا من أنفسنا، كى نسبحك كثيرا، ونذكرك كثيرا، انك كنت بنا بصيرا.

● وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة، وافتح أسماعنا وأبصارنا، واذكرنا إذا غفلنا عنك بأحسن مما تذكرنا به إذا ذكرناك، وارحمنا إذا عصيناك بأتم مما ترحمنا به إذا أطعناك، واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر، والطف بنا لطفا يبعدنا عن غيرك، ولا

يحجبنا عنك، فإنك بكل شيء عليم.

● اللهم إنا نسألك لسانا رطبا بذكرك، وقلبا منعما بشكرك، وبدنا هينا لينا بطاعتك، واعطنا مع ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما أخبر رسولك صلى الله عليه وسلم حسب ما علمته بعلمك، واغننا بلا سبب، واجعلنا سبب الغنى لأوليائك، وبرزخا بينهم وبين أعدائك، إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنا نسألك ايمانا دائما، ونسألك قلبا خاشعا، ونسألك علما نافعا، ونسألك يقينا صادقا، ونسألك دينا قيما، ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر على العافية، ونسألك الغنى عن الناس «ثلاث مرات».

● اللهم إنا نسألك التوبة الكاملة، والمغفرة الشاملة، والمحبة الكاملة الجامعة، والخلة الصافية، والمعرفة الواسعة، والأنوار الساطعة، والشفاعة القائمة، والحجة البالغة، والدرجة العالية، وفك وثاقنا من المعصية، وبرهاننا من النعمة بمواهب الجنة.

● اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها، فذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها، واحملنا على النجاة منها، ومن التفكر في طرائقنا، وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها، واستبدلها بالكراهة لها، والطعم لما هو بضدها، وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك، حتى نخرج من الدنيا على السلامة من قتالها، واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة، عالمين بها، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها، وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها.

● اللهم إنا نسألك توبة سابقة منك إلينا، لتكون توبتنا تابعة إليك منا، وهب لنا للتلقى منك، كتلقى آدم منك الكلمات، ليكون

قدوة لولده فى التوبة والأعمال الصالحات، وباعد بيننا وبين العناد والاصرار، والشبه بابليس رأس الغواة، واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت، فالاحسان لا ينفع مع البغض منك، والاساءة لا تضر مع الحب منك، وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف، فأمن خوفنا، ولا تخيب رجاءنا، واعطنا سؤلنا، فقد أعطيتنا الايمان من قبل أن نسألك، وكتبت وحببت وزينت وكرهت وألحقت الألسن بما به ترجمت، فنعم الرب أنت، فلك الحمد على ما أنعمت، فاغفر لنا، ولا تعاقبنا بالسلب بعد العطاء، ولا بكفران النعم وحرمان الرضا.

● اللهم رضنا بقضائك، وصبرنا على طاعتك، وعن معصيتك، وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك، وهب لنا حقيقة الايمان بك، حتى لا نخاف غيرك، ولا نحب غيرك، ولا نعبد شيئا سواك، وأوزعنا شكر نعمائك، وغطنا برداء عافيتك، وانصرنا باليقين، والتوكل عليك، وأسفر وجوهنا بنور رضائك، وأضحكنا وبشرنا يوم القيام بأوليائك، واجعل يدك مبسوطة علينا، وعلى أهلينا، وأولادنا ومن معنا برحمتك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك، يانعم المجيب (ثلاثا) يا من هو، هو، هو، فى علوه قريب، ياذا الجلال والاكرام، يامحيط الليالى والأيام. أشكو إليك من غم الحجاب، وسوء الحساب، وشدة العذاب، وإن ذلك لواقع، ما له من دافع، إن لم ترحمنى (لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) (ثلاثا). ولقد شكا إليك يعقوب فخلصته من حزنه، ورددت عليه ما ذهب إليه من بصره، وجمعت بينه وبين ولده.

● ولقد ناداك نوح من قبل فنجيته من كربه، ولقد ناداك أيوب من بعده فكشفت ما به من ضره، ولقد ناداك يونس فنجيته من

غمه، ولقد ناداك زكريا فوهبت له ولدا من صلبه بعد يأس أهله وكبر سنه، ولقد علمت ما نزل بابراهيم فأنقذته من نار عدوه، وأنجيت لوطا وأهله من العذاب النازل بقومه، فهأنذا عبدك إن تعذبنى بجميع ما علمت من عذابك، فأنا حقيق به، وإن ترحمنى كما رحمتهم مع عظيم اجرامى، فأنت أولى بذلك وأحق من أكرم به، فليس كرمك مخصوصا بمن أطاعك وأقبل عليك، بل هو مبذول بالسبق لمن شئت من خلقك وإن عصاك وأعرض عنك، وليس من الكرم أن لا تحسن إلا لمن أحسن إليك، وأنت المفضال الغنى، بل من الكرم أن تحسن إلى من أساء إليك وأنت الرحيم العلى، كيف وقد أمرتنا أن نحسن إلى من أساء إلينا، فأنت أولى بذلك منا (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (ثلاثا).

● ياالله، ياالله، ياالله، يارحمن، يارحيم، يا قيوم، ياقيوم، يامن هو، هو هو، ياهو، ياهو، ياهو، إن لم نكن لرحمتك أهلا أن ننالها فرحمتك أهل أن تنالنا.

● يارباه (ثلاثا) يامولاه (ثلاثا). «يامغيث من عصاه» (ثلاثا) أغثنا أغثنا يارب، ياكريم، وارحمنا يارب يارحيم، يامن وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم، أسألك الايمان بحفظك ايمانا يسكن به قلبى من هم الرزق، وخوف الخلق، وأقرب منى بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك، فلم يحتج لجبريل رسولك، ولا لسؤاله منك، وحجبته بذلك عن نار عدوه، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحياء، كلا انى أسألك أن تغيبنى بقربك منى، حتى لا أرى ولا أحس بقرب شىء، ولا ببعده عنى، انك على كل شىء قدير، فتعالى الله الملك الحق، لا إله إلا هو رب العرش

الكريم، ومن يدع مع الله إلهـا آخر لا برهان له بـه، فإنما حسـابه عند ربه، انه لا يفلح الكافرون.

● وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين.

وهو الحى لا إله إلا هو، فادعوه مخلصـين له الدين، الحمد لله رب العالمين، إن الله وملائكته يصلون على النبى، يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما.

● اللهم صلى وسلم علـى سيـدنا محـمـد، وبارك على سيـدنا محـمد وعلى آل سـيدنا محـمد، كما صليت وباركت على سـيدنا ابراهيم، فى العالمين انك حميد مجيد.

● اللهم ارض عن ساداتنا الخلفاء الراشدين: أبى بكر الصديق، وعـمر، وعـثمـان، وعلى، وارض اللهم عن سـيدنا الحسـن، وعن سيدنا الحسين، وعن أمهما فاطمة الزهراء، وعن الصحابة أجمعين، وعن أزواج نبيـك الطاهرات أمـهـات المؤمنين، وعن التـابـعـين وتابعيهم باحسان إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد النبى الكريم.

● سبحان ربك رب العزة عـما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

رحلة أولياء الله فى مصر المحروسة

٧

عن الذكر .. والدعاء
فى أحزاب وأوراد الأولياء

أحزاب الطريقة البرهامية
وماذا يقول الدسوقى فى كتاب «الجواهر»؟

من تعاليم الدسوقى لأولاده ومريديه:
الأعمال أعظم موعظة من الأقوال

طريقتنا التزام بكتاب الله والسنة المطهرة والتفقه في الشريعة والحقيقة

ولسيدى ابراهيم الدسوقى حزبان أيضا يحرص على تلاوتهما أتباع الطريقة البرهامية، وهما:

الحزب الصغير

والحزب الكبير

ويعتقد أتباع الطريقة البرهانية ان المداومة على قراءة هذين الحزبين يحفظ الانسان من كيد الأعداء، وهما أيضا لطلب المغفرة والأجر العظيم.

وللدسوقى مؤلفات أشهرها كتاب «الجواهر» الذى يضم تعاليمه ومواعظه لأولاده وتلاميذه ومريديه.

ونبدأ بالأحزاب

بالحزب الصغير الذى يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

باسم الإله الخالق الأكبر، وهو حرز مانع مما أخاف وأحذر، لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق، يلجمه بلجام قدرته، أحمى حميثا، أطمى طميثا، وكان الله قويا عزيزا، حم عسق حمايتنا، كهيعص كفايتنا، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم (ثلاثا)، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد على آله وصحبه وسلم.

● (يا بارى) «مائة مرة»، (يا لطيف) «مائة وتسع وعشرون

مرة»، (اللهم يالطيفا بخلقه يا عليما بخلقه يا خبيرا بخلقه ألطف بنا يالطيف يا عليم يا خبير سبع مرات).

(يا دائم) «ست وستون مرة».

(يا الله) «ست وستون مرة».

● لك الدوام الأزلى، والبقاء السرمدى، حتى ترث الأرض ومن عليها، وأنت خير الوارثين، سبحانك، يا دائم أنت ولينا، فاغفر لنا وارحمنا، وانت خير الغافرين، سبحانك، ياداثم ارزقنا حلاوة محبتك، واحشرنا فى زمرة المحبين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

أما الحزب الكبير فيقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا، واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على آدبارهم نفورا، أيا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين.

● ألم نووا فلووا عما نووا، فعموا وصموا عما نووا، فوقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا، أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا، وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأعشيناهم فهم لا، يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا «لا آلا إلا آلاؤك يا الله» (ثلاثا) إنك سميع عليم، وبالحق أنزلناه، وبالحق نزل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، التجم كل مارد، وذلك كل ذى بطش شديد معاند، وتلاشت مكائد الجن والانس أجمعين بأسمائك يارب

العالمين، بالسموات القائمات فهن بالقدرة واقفات، بالسبع المتطابقات، بالكرسى البسيط، بالعرش المحيط، بغاية الغايات، بمواضع الاشارات، بمن دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، خضعت المردة فكبتوا ودحضوا، كبت الأعداء بأسماء الله فكبتوا، خسىء المارد وذل الحاسد، استعنت بالله على كل من نوى لى سوءا كيف أخاف وإلهى أملى، أم كيف أضام وعلى الله متكلى؟ اللهم احرسنى من كيد الفاسق ومن سطوة المارق ومن لدغة الفاسق، بكهيعص كفيت، بحمعسق حميت فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، «ثلاثا»، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، بسم الله ما أعظم الله كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، كتب الله لأغلبن أنا ورسلى، إن الله قوى عزيز.

● اللهم يا من ألجم البحر بقدرته، وقهر العباد بحكمته، اكفنى أنت الكافي، وعنت الوجوه للحى القيوم، وقد خاب من حمل ظلما، فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين.

● أقبل ولا تخف انك من الامنين، لا تخف نجوت من القوم الظالمين، لا تخاف دركا ولا تخشى، لا تخف إنك أنت الأعلى، لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى، لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا وآمنهم من خوف اللهم آمنا من كل خوف، وهم، وغم، وكرب، الله رب العزة كتب اسمه على كل شىء أعزه، خضع كل شىء لعظمة سلطانه، اللهم أخضع لى جميع من يرانى من الجن، والإنس، والطير، والوحوش، والهوام اللهم اجعل لى نورا من نورك على وجهى، ومن ضياء سلطانك أمامى، حتى إذا رأونى ولوا هاربين خاضعين لهيبة الله، ولهيبة أسمائه، تدكدكت الجبال، بكهيعص كفيت، بحمعسق حميت، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم (ثلاثا) ، ولا حول

ولا قـوة إلا بالله العلى العظيم، ربنا أرنا اللذين أضـلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقـدامنا ليكونا من الأسفلين، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويا عزيزا، يا أرض خذيهم قل كونوا حـجارة أو حديدا، وقفوهم انهم مسـئولون كأنهم خـشب مسندة، ولا حـول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

● محـمد رسـول الله، والذين معـه أشداء علـى الكفار رحـماء بينهم، تراهم ركـعـا سجـدا يبـتغـون فضـلا من الله ورضـوانا، سيـماهم فى وجـوهـهم من أثر السجـود، ذلك مثلهم فـى التوراة، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فـاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليـغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحـات منهم مغفرة واجرا عظيـما، صدق الله العظيم، وصلى الله على سـيدنا مـحمد النبى الـكريم، وعلى آله وصحـبه أجمـعين، عـدد ما يتـعلق به علم الله القديم، من الجـائز والواجب والمستحيل، جملة وتفصـيلا، منذ خلقت الدنيا الى يوم القيامة فى كل يوم مـائة ألف مـرة، وفى كل مـرة مـثل قـدر ذلك، وعلى آله وصحبه وسلم يا عزيز (مـائة مرة) يا عزيز فلم أزل بعزك عزيزا، يا عزيز يا عزيز٠سبع مرات) أو (سبعين مرة).

عن كتاب «الجواهر»:

ونأتى لكتاب «الجـواهر» الذى هو أشهر وأهم مؤلفـات الشيخ ابراهيم الدسـوقى والذى يضم تعـاليمـه ومـواعظه الى تلاميـذه ومريديه.

ويوجد جزء من هذا المخطوط الذى كتبـه بيده فى جامعة ليدن بهولندا، وجزء آخر فى دار الكتب المصرية.

● فى كتاب «الجواهر» يتحدث الدسوقى فى صفحاته الأولى عن واجب المريد والمبتدى والمقتدى والمسترشد، وينتهى من هذا الحديث إلى تقديم أولى نصائحه وفيها يقول: «إلى الخلائق أجمعين عليكم بالأعمال الصالحة» مذكرا بيوم القيامة، قائلا «يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم المحاسبة والموازنة والمساءلة، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل إمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه، يكفى الموت زاجرا وذاكرا وسائقا، فأين اباؤنا والجدود؟ وأين من نظرناهم؟ وأين من عرفناهم؟ وأين من كان قبلنا؟ سكنوا قعر الأرض الى يوم العرض، فالقيام إما إلى جنة نعيمها دائم مقيم، وإما الى جهنم والعذاب الأليم.. أقبلوا أقبلوا على الله تعالى فإنه كريم ما أقبل مقبل عليه إلا وجد كل خير لديه، ولا أعرض معرض عن طاعته إلا وتعثر فى ثوب غفلته».

يقول الله تعالى: «من أتانى ماشيا أتيته هرولة، ومن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا» ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، التائب من الذنب كمن لا ذنب له، من تاب الى الله صالحه وغفر له وعفا عنه وأنعم عليه حتى لم يكن كأنه أذنب قط.

قال تعالى: «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» غفر الله لحاملها ولقائلها ولمستمعها ولواعيها ولمراعيها ولمن عمل بما فيها ولمن وقف عند معانيها ولمن تمعنها وبجلها ولمن يشتهر بها ولا يعيبها ولا يشينها ولا يخالف ما فيها وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات انه مجيب الدعوات.

● ● ●

وقال الدسوقى يعظ تلاميذه: من كان من أولادى كان متشرعا متحققا نظيفا عفيفا شريفا.

قال تعالى: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

يا أولادى.. إياكم والزنا.. فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جلد ولده حتى قتل تحت العقوبة والحد.

ولما قال نوح عليه وعلى نبينا أفضل السلام «رب إن ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين، قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم».

وقال تعالى: «والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله».

وقال صلى الله عليه وسلم: «خير خلق الله من يألف ويؤلف».

وقال الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة: «أن أحب عبادى إلى من يحبب عبادى الى ويحببنى لعبادى أولئك هم الأبطال حقا إذا أردت أن أنزل بخلقى بلاء دفعته عنهم بهم».. ونلاحظ هنا إيراد الدسوقى لقول الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة.

وينتهى الدسوقى فى موعظته لتلاميذه إلى القول: فمن كان ملازم الشريعة والحقيقة والطريقة والديانة والصيانة، وقلة الطمع والزهد والورع، والانشغال بالله تعالى والتعفف وملازمة الذكر والحلم والاذكار والأسحار والاستغفار والاقتداء بالعلماء الأخيار، والخروج عما نهى الله عنه في الخبر والأثر. فإن الله تعالى يقول: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» أولئك العلماء العاملون الصادقون الصديقون المخلصون.

●●●

ويتحدث الدسوقى عن الصوفية وأحوالهم فيقول: لو رأيت القوم وقت نسمات الأسحار وتجلى الأنوار، لرأيتهم كأنهم الكواكب والبدور، وعلى وجوههم النور.. كذلك إنما يخشى الله من

عباده العلماء إن الله عزيز غفور، جنات عدن مفتحة لهم الأبواب قطوفها دانية، وقصورها عاليه، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقال الدسوقى:

قسما بما فى سورة المزمل.
وبآل طه والكتاب المنزل
كل المواطن قد يألفها الفتى
وحنينه أبدا لأول منزل

وقال:

ولقد جعلتك فى الفؤاد مؤانسى.
وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للحبيب مجالسى
وحبيب قلبى فى الفؤاد جليسى

وقال:

إن الحب بحر عميق، والمحبة لا تتناهى، وما كل من دخل الحمى سمع النداء.

تريدون ادراك المعالى رخيصة.
ولابد دون الشهد من ابر النحل.

●●●

ويتحدث الدسوقى عن القرآن وأهل القرآن فيقول: من تأمل القرآن وجد حروفه كلها متضمنة معانى وحكما وأسبابا.. قال الله تعالى: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم، يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب.. يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد، سبحان من يعلم الأسرار الخفية والأحوال المرضية، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة

إنك أنت الوهاب، سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين، وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين.. الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شىء قدير، وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما.. والله يهدى أولادى كبيرهم وصغيرهم.

●●●

ويتحدث عن الحياة الطيبة فيقول: وحياة العبد لا تكون طيبة إلا إذا كانت حبا بالعلم والعمل، ويشرب من الماء ماء الوصل فيقرأ كتاب الله تعالى يجده شفاء وعفاء، فإن كان أميا استمع إلى القرآن ليتعلم ويعمل بما سمع.

●●●

ويمضى الدسوقى فيسوق النصيحة لتلاميذه ويقول: وصيتى إليكم يا أولادى بأحسن الأعمال الصالحة فإن الله تعالى يحاسب العبد على الفتيل والقطمير ويحاسب كل كبير وصغير إلا من لا عقل له ولا ادراك أو مات طفلا قبل البلوغ والادراك فأولئك يكونون لآبائهم شفعاء فاغتنموا ذخيرة الآخرة واعملوا لما بعد الموت واجتهدوا قبل أن يفوتكم الفوت فما ينفع أحدكم ماله ولا يرد عنه جاهه.

●●●

وفى موعظة يتحدث فيهـا عن التوبة وعن سلوك الداعية وكيف يكون قدوة.. يقول: يا جميع من سـمع كلامى أنا نصوح لكم فمن كان منكم من لم يحقق توبته فليتقـدم، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتوب فى اليوم والليلة اثـنتين وسبعـين مرة، فإذا كـان ولدى مصمـما مجدا عاملا هكذا جعله الله رحمة وداعيا.

ويضيف الدسوقى متـحدثا عن الداعية فيقـول: فحينئذ يا ولد الحـلال تكون تتـوب الناس وتدعـوهـم الى طاعـة الله وتأمـرهم وتنهاهم، وتحذرهم وتنذرهم وتخوفـهم وتعظهم، وتكون مجتهدا فيمـا يفلح مريدك، فإن نمت نام، وإن قمت قـام.. والمريد على قدر مايُـربى ممن يتوبه، فكن آمـرا بالأعمـال الصـالحـة تعمل بنفـسك وتأمر بـالعمل. فـإذا رآك الذين تأمرهم عـاملا عـملوا وسمـعوا وعـملت فيـهم الموعظة.. وان كنت يابطال بطـالا وتأمرهم بالعـمل قالوا يعدل هذا نفسـه.. فان كنت عمالا ولم تعظهم وعظتهم أعمالك التى يرونها فإن الأعمال أعظم موعظة من الأقوال.

ويضيف الدسوقى مناشدا مريده: ان لم تكن عاملا ـ أى عاملا بما تقول سـألتك بالله العظيم لا تعظ الناس.

فيا ولد، «خرقتى» كن كـما ذكرت لك، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وادفع الشر، واكشف الضر، وأسـهل العسير وأجب السائل وادع الخلق الى الله تعالى وكن محبا لكل الناس وأكف اليد عنهم.

●●●

وفى موعظة يتـحدث فيهـا عن الالتزام بكتاب الله وسنة نبـيه وعن ضرورة التفـقه فى الشريعة والحقيـقة يقول: يا هذا.. أسلك طريق النسك على كتاب الله عز وجل وسنة نبـيه محمد صلى الله عليـه وسلم فى اتباع الشـريعـة التى قد سطع نورها ومـلأ الأفق

عطرها واكتسى الجو من نفحها وضمخ الاكوان صيبها وعزت الأرض بالذكر والفكر والحج والعمرة والصوم والصلام والكعبة والقبلة.. شريعة مختارة ونبى مختار، وأشرف من رقى وعرج، ما خلق الله أشرف وأكرم، ولا أجمل ولا أكمل ولا أبهى ولا أبهج ولا أملح ولا أسمح ولا أشفق ولا أرفق ولا أغنى ولا أعلم ولا أحلم ولا أعظم ولا أشجع ولا أوسع صدرا ولا أكثر برا ولا أكبر قدرا من النبى المصطفى المختار، صاحب التاج والبراق، الذى رأى الله تعالى فى رواية ابن عباس رضى الله عنه بالأحداق.. وفى رواية عائشة رضى الله عنها، إنما رأى الله بفؤاده.. فأما دليل ابن عباس فهو قوله تعالى: ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى» وأما دليل عائشة فهو قوله تعالى: «ما كذب الفؤاد ما رأى».

فهو نبى الرحمة، وسيد الأمة، فإن الله تعالى اختاره من جميع الخلق واختار له الشريعة السمحاء، وبعثه الى الأحمر والأسود وجعله خاتم النبيين وإمام المرسلين ثم جعل أساس شريعته التوحيد والصوم والصلاة، والحج والزكاة والمحافظة على حقوق الله، كل ذلك هو من التوحيد.. يعنى ان أصل ذلك كله شهادة أن لا إله إلا اله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وذلك هو الاسلام، وهو أصل الايمان.

ويقول الدسوقى: فإن قال لك قائل: أخبرنى ما الشريعة؟ وما الحقيقة؟ وما الاسلام؟ وما الايمان؟ وما العلم؟ وما الطريقة؟ فاعلم أن طلب التفقه فى الشريعة فرض على كل مسلم.. بدليل قوله تعالى: «ليتفقهوا فى الدين» لأن الغرض فروض الدين كلها بالشهادتين وصدق نية خالصة، ثم يتبع فرض اللسان بما أعلن وبين بالأعمال الصالحات والأفعال المرضيات والأقوال المبررات، فإن الله تعالى قد شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا.

ثم إن الاسلام شهادة باللسان، والايمان شهادة باللسان وعمل بالأركان كما قال تعالى فى محكم القرآن: اتبع ملة ابراهيم حنيفا مسلما..

وقال عز من قائل: «ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين».

وكما قال : « أسلمت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلما » .

وكما قال: «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون».

وقال الدسوقى: والايمان هو قوله تعالى فى آخر سورة البقرة: «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله».

وقوله تعالى: «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون».

وقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون».

والمقر بالشهادتين بلا إتيان فروض الدين فهو مسكين.. فإذا أتى الاسلام والشريعة المطهرة بالايمان وهو أداء الفرائض من الصلاة والصوم والزكاة والحج والحلال وضبط الدين فى الأعمال والأفعال والأقوال حتى لا يغتب ولا ينم كان هو المسلم المؤمن.. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده» فإن الله تعالى قد حرم الهمز واللمز والغمز والتنابز والغيبة والنميمة والكفر والفسوق والعصيان.

قال تعالى: «ويل لكل همزة لمزة».

وقال تعالى: «هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم».

وقال تعـالى: «ولا يغتب بعضكم بعضـا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه».

وقال تـعالى: « ولا تلمـزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقـاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان».

ويطالب الدسوقى تلاميذه بألا يتكلموا إلا بالعلم.. ويقول:

لا مـــــــــال أنـفـع مـن الـعـلـم.
ولا تجـــــــارة أربـــح مـن الحلـم
ولا قـــــريب اشـــــر من الجـــــهل.
ولا حـــــسب أحـــــسب مـن الأدب.
ولا كنـز أعـــز من الـتـــقـــوى.
ولا عـــقـل كـــالتــــبــــصــــر.
ولا ورع كـــــالـعـــــفـــــة.
ولا بضــــاعـــــة كـــالقناعــــة.
ولا غـــــائب أقـــــرب من الموت
ولا شـــفـــيع أصـــدق من الـتـــوبة.

●●●

ويتحدث الدسوقى عن العلماء ووجوب أن يقرنوا العلم بالعمل، فيقـول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصحـابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

وقال صلـى الله عليه وسلم: من ازداد علمـا ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا.

وقـال صلى الله عليـه وسلم: لا خـير للعـيش إلا لعـالم ناطق مستمع واع.

لكن العلم يحب العمل.

وقال صلى الله عليه وسلم: رأيت فى النار ليلة أسرى بى أناسا تقرض شفاههم من هول العذاب فقلت من هؤلاء يا أخى يا جبريل؟ قال هؤلاء علماء أمتك وقيل خطباء أمتك الذين يخالف قولهم فعلهم.

●●●

ويضم كتاب «الجواهر» بعض القصائد من الشعر الصوفى للدسوقى..

هناك قصيدة يتحدث فيها عن نسبه يبدؤها بقوله:

وانى حجازى شريف ونسبتى
لها شرف سادت على كل نسبة
واسمى ابراهيم وسمى والدى
بعبدالعزيز المجد شيخ الحقيقة
يكنى أبو المجد المعظم شأنه
عليه من الرحمن أزكى تحية
ووالده يسمى قريش وجده
محمد المختار خير البرية

●●●

وفى مطلع قصيدة صوفية يقول:

سهر العيون لغير حبك باطل
وبكاؤهن لغير هجرك ضائع
وما المال والأهلون إلا ودائع
ولابد يوما أن ترد الودائع

وفى قصيدة أخرى يقول:

قلوب العاشقين لها عيون
ترى ما لا يراه الناظرون
تطير بأجنحة من غير ريش
إلى ملكوت رب العالمين.

●●●

وفى قصيدة أخرى يقول:

قل لمن يفهم عنى ما أقول
قصر القول فذا شرح بطول
فيه سر غامض من سره
ضربت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف اياك ولا..
تدر من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدرى صفاة ركبت
فيك حارت فى خفاياها العقول

وفى قصيدة أخرى يقول:

يا سكارى الشوق عنا لابراح
ما على من هام فى الحب جناح
ان تكن فى حبنا ذا همة
ابذل الروح فما الحب مزاح
يا سكارى حبنا طيبوا فقد
سمح الساقى ونادى لابراح
وحلا خمرته فى كأسها
فاكتسى الليل الى ضوء الصباح
يا قتيل الحب هذا نوره

قــد تجـلى وشــذا المحــبـوب لاح

وفى قصيدة أخرى يقول:

لله قــوم أخـلصــوا فى حــبـــه
فــأحـبـــهم واخــتـــارهــم خــداما
قـــوم إذا جـن الظـلام عـليـــــهم
قــامــوا هـنالك ســجـدا وقـــيــاما
يـتـلـذذون بذكــــــره فـى ليـلـهـم
ونهــارهــم لا يبــرحــون صــيــامــا
يتــشــفـــعـون بآدم ومــحــمــد
فــيـــسكـنـون من الجنان خــيــامــا

رحلة أولياء الله
في
مصر المحروسة

٨

عن الذكر .. والدعاء
فى أحزاب وأوراد الأولياء

أحزاب الطريقة الرفاعية
وصلاة « جوهرة الأسرار »

وصايا سيدى أحمد الرفاعى .. وحديثه
عن العشق وأهل الوفاء والوداد

إذا نظرت إلى عيوب الخلق
أظهر الله فيك جميع العيوب

ولسيدى أحمد الرفاعى أحزاب وأوراد كثيرة، نذكر منها «الحزب الصغير» الشهير المعروف بحزب الرفاعية، الذى يتضرعون فيه إلى الله طلبا للمغفرة والرحمة والسلامة، وعدم الوقوع فى المعصية، ودق أعناق الظلمة.

ومن تقاليد الرفاعية أن يتبعوا قراءة هذا الحزب بصلاة على النبى تسمى «جوهرة الأسرار».

والحزب الصغير.. حزب الرفاعية يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم ألم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون.

● والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

● الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما

شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم.

● لله مافى السموات والأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.

● آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤآخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

● بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. اللهم انى أسألك بعظيم قديم كريم مكنون مخزون أسمائك، وبأنواع أجناس رقوم نقوش أنوارك، وبعزيز اعزاز عزتك، وبحول طول حول شديد قوتك، وبقدرة مقدار اقتدار قدرتك، وبتأييد تحميد تمجيد عظمتك، وبسمو نمو علو رفعتك، وبقيوم ديوم دوام أبديتك، وبرضوان غفران أمان مغفرتك، وبرفيع بديع منيع سلطانك، وبصلات سعات بساط رحمتك، وبلوامع بوارق صواعق عجيج وهيج بهيج نور ذاتك، وببهر جهر ميمون ارتباط وحدانيتك، وبهدير تيار أمواج يحرك المحيط بملكوتك، وباتساع انفساح ميادين برازخ كرسيك، وبهيكليات علويات روحانيات أملاك عرشك، وبالأملاك الروحانيين المدبرين لكواكب أفلاكك، وبحنين أنين تسكين المريدين لقربك، وبحرقات زفرات خضعات الخائفين من سطوتك، وبآمال نوال أقوال

المجتهدين فى مرضاتك، وبتحميد تمجيد تهجد تجلد العابدين على طاعتك، يا أول، يا آخر، ياظاهر، ياباطن، ياقديم، يامقيت، اطمس بطلسم بسم الله الرحمن الرحيم سويداء قلوب أعدائنا وأعدائك، ودق أعناق رءوس الظلمة بسيوف نمشات قهر سطوتك، واحجبنا بحجبك الكثيفة عن لحظات لمحات أبصارهم الضيقة بحولك وقوتك، وصب علينا من أنابيب ميازيب التوفيق فى روضات السعادة آناء الليل وأطراف نهارك، واغمسنا فى حياض سواقى مساقى برك ورحمتك، وقيدنا بقيود السلامة عن الوقوع فى معصيتك، ياأول، ياآخر، ياظاهر، ياباطن، ياقديم، يامقيت، اللهم ذهلت العقول، وانحصرت الأفهام، وحارت الأوهام، وبعدت الخواطر، وقصرت الظنون عن ادراك كنه كيفية ما ظهر من مبادىء عجائب أنواع قدرتك، دون البلوغ إلى تلألؤ لمعات بروق شروق أسمائك، اللهم محرك الحركات ومبدى النهايات، ومشقق صم الصلاديد، والصخور الراسيات، المنبع منها ماء معينا للمخلوقات المحيى بها سائر الحيوانات والنباتات والعالم بما اختلج فى سر وهم، نطق اشارات خفيات لغات النمل السارحات، ومن سبحت وقدست وعظمت ومجدت بجلال جمال جمال كمال أفضال عزك، ملائكة السبع سموات، اجعلنا اللهم يامولانا فى هذه الساعة المباركة، ممن دعاك فأجبته، وسألك فأعطيته، وتضرع إليك فرحمته، وإلى دارك دار السلام أدنيته وقربته، جد علينا بفضلك ياجواد، عاملنا بما أنت أهله، ولا تعاملنا بما نحن أهله إنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة، ياأرحم الراحمين ارحمنا، ياأرحم الراحمين ارحمنا، يا أرحم الراحمين ارحمنا، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ويطهركم تطهيرا، إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما.

● وبعد الانتهاء من قراءة هذا الحزب يتبع بصلاة على حضرة الرسول الكريم، وهذه الصلاة تسمى: «جوهرة الأسرار» ونصها: «اللهم صل وسلم وبارك على نورك الأسبق، وصراطك المحقق، الذى أبرزته رحمة شاملة لوجودك وأكرمته بشهودك، واصطفيته لنبوتك ورسالتك، وأرسلته بشيرا ونذيرا وداعيا إليك باذنك وسراجا منيرا، نقطة مركز باء الدائرة الأولية، وسر أسرار الألف القطبية، الذى فتقت رتق الوجود وخصصته بأشرف المقامات لمواهب الامتنان والمقام المحمود، وأقسمت بحياته فى كلامك المشهود، لأهل الكشف والشهود فهو سرك القديم السارى، وماء جوهر الجوهرية الجارى، الذى أحييت به الموجودات من معدن وحيوان ونبات، فهو قلب القلوب، وروح الأرواح، وعلم الكلمات الطيبات، القلم الأعلى والعرش المحيط.

روح جسد الكونين، وبرزخ البحرين، وثانى اثنين، وفخر الكونين، أبو القاسم سيدنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما بقدر عظمة ذاتك، فى كل وقت وحين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين.

أقوال الرفاعى ووصاياه:

عن العشق.. وأهل الوفا والوداد

ومن أقوال الرفاعى: ان الفقير (أى المتصوف) كالمرآة فكل شىء ينظره يراه فى وجوده من أمور الدنيا مرتسما، وإذا اختلط بالخلق ونظر لما فى أيديهم وملابسهم صدئت مرآته فلا ينبغى له أن يخطر بباله شىء من أمور الدنيا.

وقال رضى الله عنه: يجب على الفقير أن يقطع لسانه عن غير

الحق، وإذا أراد أن يتكلم بكلام ملازم عليه أن يعرف ما يترتب عليه وما نتيجته، وإذا أراد أن يسكت فلا يسكت إلا عن حسن سكوت وحلم، وإذا سئل الفقير سؤالا فينبغى ألا يعجل بالجواب، وإذا أجاب فيكون جوابه عن تأمل وفكر، وعلى الفقير انه إذا رأى من هو أعرف منه ألا يستفيد منه ويحذر الكلام معه فى الخطأ والزلل والغلط، والشىء الذى لا يعرفه لا يذكره ولا يتفوه به.

وقال: الشيخ الحقيقى هو الذى يحضر مع مريديه ويلاحظه فى أربعة مواقه هى:

الأول: حين النزع وخروج الروح من الجسد.

والثانى: عند سؤال الملكين منكر ونكير فى القبر.

والثالث: عند العبور على الصراط والمرور به.

والرابع: عند وزن أعماله بالميزان.

وقال: النفس على ثلاثة أقسام.. النفس الأمارة بالسوء وهى نفس العصاة والجاهلين.. والنفس اللوامة وهى نفس المؤمنين المتقين وهم الذين إذا صدر منهم فعل حسن يفرحون، وإذا صدر منهم فعل قبيح يحزنون ويألمون ويلومون النفس على ماصدر منها.. والنفس المطمئنة وهى نفس العارفين وهم أهل اليقين.

●●●

وفى وصيته للشيخ يعقوب قال الرفاعى: ياشيخ يعقوب لا تنظر إلى عيوب الخلق فإن نظرت إلى عيوبهم أظهر الله فيك جميع العيوب، وإن كان ما فيك عيب ياشيخ يعقوب، لا تنحرف عن الطريق المستقيم ولا تراع هى النفس وشهوتها بل راع التقوى وأنواع الطاعة وملازمة السنة والجماعة، وإذا جلست بالخلوة فاحذر الوسواس وصف خواطرك من الكدورات والرعونات البشرية، وإذا صدر من أخيك ذنب أو عيب فاصفح الصفح

الجميل، واستر الستر الجميل، وعامل عباد الله بالصلاح والنصح والتقوى، وعظم أهل الخشوع والمراقبة، وإذا كان لك عند أحد حق فسامحه والله يعطيك الحق ويعوض عليك، وكن مع الخلق بالأدب.

ويمضى الرفاعى فى وصيته للشيخ يعقوب فيقول: ياشيخ يعقوب، من اللازم عليك ترك الدنيا ومخالفة النفس والحذر من الهوى والهوس فإنهما أعداؤك وإنما ذكرت هذه الوصية لك لأنها موصلة إلى الحق وباعثة على معرفة طريقه، واعلم أن التوفيق فى جميع الأحوال إنما هو من الله سبحانه وتعالى.

وفى نصيحته لعلى بن عثمان قال الرفاعى: عليك أن تحفظ السر وتصلح الخاطىء وتتركه حتى يرضى عليك خالقك، وكل من عرف الأقوال والأفعال والأحوال على وجه الشريعة سهل عليه ذلك الأمر، وكل من لم تكن أفعاله وأقواله وشئونه مطابقة للسنة لا يكون اسمه مكتوبا فى دفتر الحق مع أسماء الرجال.

●●●

وفى وصيته لابراهيم الأعزب قال الرفاعى: يا ابراهيم كل من أراد أن يكون لك شيخا فكن أنت مريدا له، وكل من تقدم عليك فقدمه وعظمه، وإياك والتقرب من أهل الدنيا فإن القرب منهم يغشى القلب، والتواضع لهم موجب لغضب الرب، وتعظيمهم يزيد فى الذنوب، وقد ورد فى الحديث «من تواضع لغنى لأجل غناه أذهب الله ثلثى دينه، والتواضع لأهل الدنيا مذموم عند الله وعند الناس».. وقال: يا ابراهيم اتخذ الفقراء أصحابا وأحبابا وعظمهم وكن شغولا بخدمتهم، وإذا جاءك أحد منهم فانتصب له على قدميك وتذلل لهم، وإذا وقعت خدمتك معهم فى حيز القبول فاسألهم الدعاء الصالح لعلك تعمر لك مقاما فى قلوبهم، لأن الفقراء يعطون دولة فى يوم القيامة كدولة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .. وقال : يا ابراهيم لا تنظر إلى الفقراء بين الحقارة

ولا تعيبهم لأجل أفعالهم، فإنهم إذا صدر منهم فعل يظنه الناس قبيحا فإنه عند الله مقبول..

وقال: يا ابراهيم جاهد نفسك لكي تكون من الفقراء، وكن شبيها بهم وفى صورتهم، فقد ورد: من تشبه بقوم فهو منهم، ومن أحب قوما حشر معهم.

وعن معرفة الفقير قال الرفاعى: لو عرف العالم كله رب الفقراء حق المعرفة مثل ما عرفه الفقراء لانقطعوا عن معاش الدنيا وأحوالها بالكلية.

وعن علامات الفقير قال الرفاعى: الفقير الذى هو من أهل الله علامته أنه إذا سأل فى شىء تقبل الله منه وأعطاه ما تمناه، والعاقل الكامل هو الذى إذا طلب شيئا طلبه بإذن الله ومشيئته، ومن علامة الفقير أنه إذا أعطى شيئا أعطاه لوجه الله ومرضاته لا لشىء آخر غير ذلك.

● ● ●

وعن خطر التكذيب قال الرفاعى: إذا قال لك أحد أنا صعدت إلى السماء أو أنا أصعد إلى السماء فصدقه ولا تكذبه، فإن كان كاذبا فكذبه عليه، ولا يضيرك منه شىء، وإن كان صادقا وكذبته أو أنكرت عليه فالضرر حاصل لك أنت.

وعن أخلاق الفقير قال الرفاعى: من اللازم على الفقير أن يتقيد بملابسة الكمالات وبتحصيلها فى أى موضع حل به وسار إليه حتى أنه يصير كل وقت فى ازدياد من الكمالات، فقد ورد فى الحديث الشريف قول الرسول صلى الله عليه وسلم «من تساوى يوماه فهو مغبون».. وقال الرفاعى: لا تخالط أحدا لأجل الدنيا، ولا تعامله ولا تصاحب أحدا من أهلها كى لا يحصل لك من مجلسه وملازمته نقصان..

وقال: إذا كنت تعرف علما منتفعا به فعلمه للناس حتى ينتفعوا

به ويظهر أثرك فى الدنيا والآخرة.. وقال: العشق مصيدة الحق يصيد به قلوب أهل الوفا والوداد. والانسان الكامل هو الذى لا يفكر فى زمانه الماضى ولا المستقبل من حيث الرزق والمعاش بل يكون متوكلا على الله معتمدا فى جميع أموره عليه، تاركا التنعمات الدنيوية والتلذذات النفسانية، معودا نفسه على التعب والمشاق ويعرف أنعام الله عليه على اقراره له على الطاعات والعبادات، وإذا أعطى الله له رزقا فلا يبخل به على خلقه وعباده والفقراء.

وعن أحوال العشق قال الرفاعى: العشق له ثلاثة أحوال محمودة. الأكل القليل.. والنوم القليل.. والكلام القليل.

ونتيجة الأول هى النوم القليل.

ونتيجة الثانى العقل والفراسة.

ونتيجة الثالث الحكمة.

وقال: من الأدب اللازم على الفقير إذا ذهب إلى مكان أو دعى إليه ودخله ووجد مكانا خاليا أن يجلس فيه كائنا ما كان، ولا يتعداه ولو كان بأطراف المجلس، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس حيث انتهى به المجلس.

وعن صفات الولى قال الرفاعى: إذا أراد سبحانه وتعالى أن يدخل عبدا من عبيده فى سلك أوليائه ينعم عليه بأمور:

أن يلهمه رعاية خلقه.. وألا يرى طريقا إلا طريق الاستقامة.. وأن يقدره على مصافحة الملائكة ويمكنه من ذلك.. وأن يلهمه أن يقرأ كل مكتوب وأن كان أميًا.. فإذا أنعم الرب بهذه الخصال الأربع على عبد من عبيده كان ذلك السيد وليا عارفا، وحينئذ لا يتكلم إلا مع أهل التصرف، وإذا أحب اطلع على أهل العقاب والعقابة، وعلى أهل الاحسان والمثوبة إلى غير ذلك بما امتاز به أهل الله وأولياؤه الكرام.

رحلة أولياء الله
فى
مصر المحروسة

٩

مجالس الذكر .. والسماع

حلقات الذكر على دقات الدفوف ..
والعـــزف عــلى النـــاى

حـــكاية التكيــة المــولــوية
ورقصــــات الشــيوخ التعبــدية

وثيقة عمرها ٤٠٠ سنة تحدد أجور العازفين
على النــاى والضـــاربين عــلى الدفوف !

السلطان سليم .. هل جاء مصر متخفيا
فى ملابس الدراويش لمعــرفة أحـوالها
قبــل أن يبـدأ حملتــه لغـزو مصـــر؟

والحديث عن الذكر يجر للحديث عن مجالس الذكر التى هى من خصائص الطرق الصوفية، ونعنى بها الذكر فى جماعة، أو «الحضرات» التى تقيمها الطرق الصوفية، والتى يصاحبها الانشاد الدينى، الذى يستخدم «التصفيق» لضبط الايقاع، أو دقات الدفوف وآلات الصفير.

ومجالس الذكر لها طقوس وضوابط، فهى تبدأ بكلمة «لا إله إلا الله» وهذا التمهيد يسمى بالأرضية، ثم يتدرج رئيس المجلس بالذاكرين.

ومع التمهيد يردد المنشد بعض المنظومات الصوفية، مثل:

إلهى توسلنا بجاه محمد
نبيك.. وهو السيد المتواضع
أنلنا مع الأحباب رؤيتك التى
إليها قلوب الأصفياء تسارع

ومع اشتداد الذكر يردد المنشد الاستغاثة بالعبارة المألوفة «أغثنا أدركنا يارسول الله».

والانشاد فى مجالس الذكر على أنواع وطرق مختلفة.

ويذكر فهمى عبداللطيف فى كتابه عن السيد البدوى ان مجالس الذكر وحلقات الانشاد الصوفية كانت إلى عهد قريب عامرة حافلة بأعلام الفن ومشاهير المنشدين والمطربين. وكانت

ليـالى الموالد فى القاهرة وعـواصم الأقـاليم مواسـم للمـوسيـقى والغناء، يقصد إليها عشـاق السماع من أقاصى البلاد، فكان يغنى فيـها عبده الحـامولى ويوسف المنيلاوى ومحـمد عثمـان والشيخ المسلوب والشيخ سلامـة حجازى والشيخ سـيد درويش والشيخ على محمود وكلهم من أساطين الغناء، ولكن فى السنوات الأخيرة تطورت مظاهر الحـيـاة وتبـدلت أوضـاعهـا، فـانصـرف المغنون والمنشـدون عن مـجـالس الذكـر وحلقـاته إلى حـفـلات الاذاعـة والصـالات. ولهذا فـقدت حـلقات الذكـر وليالى المـوالد بهجـتهـا وروعتـها الفنيـة عند كثـير من الناس، وأصـبح لا يقبل عليـها إلا عـشاق الفن القـديم، والذين يطربون بنوع خـاص لذلك اللون من الغناء الصوفى وما فيه من تجليات.

●●●

لكن مـجـالس الذكر وخـاصـة تلك التى يصـاحـبـهـا الغناء والموسيـقى وانشاد الشعر وحـركات الرقص والتمـايل قد أنكرها الفقهاء واعتبروها بدعة.

ويطلق تعـبـيـر «السـمـاع» فى العـرف الصوفـى على الغناء والموسيقى وانشاد الشعر والمنظومـات الصوفية فى حلقات الذكر، ويعـتبـرون ذلك من شـعائر الذكـر التى تؤدى إلى الاندمـاج فى العـالم الروحى، واثارة الشـجن فى النفـوس، وتحريك العـواطف بالخشوع.

و«السماع» هو موضوع خلاف بين الفقهاء والأئمة.

وأقدم فـتوى فى مـوضوع السمـاع هى تلك التى أشار إليـها الباحث فـهمى عبداللطيـف والتى أوردها كتاب حاضـر المصريين ونقلتهـا مجلة الحيـاة التى كان يصدرها مـحمد فـريد وجدى فى مطلع هذا القرن.

ففى عـام ٦٦١ للهجرة، أى منذ أكثـر من سبعمـائة سنة سئل علماء المذاهب الأربعة عن «السمـاع» الذى يحدث فى حلقات الذكر والحضرات التى تقام فى المساجد، فأجابوا:

قال الشافعية: السماع لهو مكروه يشبه الباطل، من قال به ترد شهادته.

وقال المالكية: يجب على الحاكم زجرهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا.

وقال الحنابلة: فاعل ذلك لا يصلى خلفـه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه إن كان حاكما، وإن عقد للنكاح فهو فاسد.

وقال الحنفية: لا يصلى على الحصر التى يرقصون عليها حتى تغسل.. والله أعلم.

●●●

لكن الإمام العـز بن عبدالسلام وهو أحـد فقهاء القـرن السابع الهجرى يقول: ان «السماع» ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

● منها ما هو حرام محض، وهو لأكثر الناس من الشباب، ومن غلبت عليهـم شـهـواتهم ولذاتهم، وملكهم حـب الدنيـا، وتكدرت بواطنهم، وفسدت كل مـقاصدهم، فلا يحرك السـماع منهم إلا ما هو الغـالب عليهم وعلى قلوبهم من الصـفات الذمـيمـة سيـما فى زماننا هذا، وتكدر أحوالنا، وفسـاد أعمالنا.

● ومنهـا مـا هو مـبـاح لمن لاحظ له منـه إلا التلذذ بالصـوت الحسن واستدعاء السـرور والفرح، أو يتذكر غائبا أو ميتـا فيثير حزنه فيروّج لما سمعه.

● ومنهـا مـا هو مندوب، وهو لمن غلـب عليـه حب الله تعـالى والشـوق إليه، فـلا يحـرك السـماع منه إلا الصـفـات المحمـودة، وتضاعف الشوق إلى الله سبحانه وتعالى.

ويضيف الإمام العز بن عبدالسلام قوله: ومجمل القول فى ذلك أن من سمع فظهرت عليه صفات نفسه وتذكر به حظوظ دنياه، فاستثار سماعه وسواس هواه، فالسماع عليه حرام.

ومن سمع فظهر له ذكر ربه وخوفه من ذنبه وذكر آخرته، فأتاح له ذلك الذكر شوقا إلى الله تعالى وحبا فيه ورجاءً لوعده وخوفا من وعيده فسماعه ذكر من الأذكار مكتوب فى صحائف الأبرار.

ويذكر الدكتور أحمد شلبى فى كتابه الحياة الاجتماعية فى التفكير الاسلامى أنه قد نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم عن كثير من الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء أنهم كانوا يسمعون ويحضرون مجالس السماع البريئة من المجون والمحرمات.

ويقول صاحب كتاب التمكين فى شرح منازل السائرين: «وحكم السماع شرعا يتبع ما تعلق به، إن خيرا فخيرا، وإن شرا فشرا، فإن كان المقصود بالسماع حب الله تعالى والتبتل إليه والازدياد من الايمان به والتحبب إليه، فأنعم به من سماع.. وإن كان السماع مثيرا للهوى موقظا لغرائز النفس ويراد به غير المقصود منه فهو فى مثل هذا المقام فتنة ويحرم».

ويقول الإمام الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين: إن السماع قد يكون حراما محضا، وقد يكون مباحا، وقد يكون مكروها، وقد يكون مستحبا.

أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان، ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا، فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة.

وأما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكنه

يتخذه عادة له فى أكثر الأوقات على سبيل اللهو.

وأما المباح فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن.

وأما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى، ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة.

وتختلف آراء الصوفية أيضا فى موضوع السماح بحسب مفاهيمهم ومشاربهم فى الورع. فمنهم من عده بدعة ضارة وقال بإنكاره.

ومنهم من جعل الحكم عليه بحسب ظروفه ومناسباته وأثره، فإن كان الأثر محمودا أجازه، وإن كان الأثر سيئا أنكره ونهى عنه.

ويذكر الباحثون ان ثلاثة من أصحاب الطرق الصوفية وهم: أحمد الرفاعى وأبو الحسن الشاذلى وابراهيم الدسوقى، أنكروا السماع، ومع ذلك فإن الأتباع والمريدين نسبوا إليهم اباحة السماع.

حكاية التكية المولوية.. والرقصات التعبدية !

ومجالس السماع كانت لها قاعات خاصة داخل «التكايا» التى كانت تقام لبعض الطرق الصوفية، للعيش فيها والانقطاع عن الدنيا والتفرغ للعبادة وذكر الله.

وأشهر هذه «التكايا» فى مصر هى «التكية المولوية» أى التكية الخاصة بشيوخ الطريقة المولوية، التى تنسب إلى «مولاى جلال الدين الرومى».

وهى طراز فريد، لا مثيل لها إلا فى تركيا، فى مدينة قونية.

ولهذا السبب فهى تكتسب أهمية خاصة باعتبارها من «الآثار الاسلامية» الفريدة فى مصر، فهى الأثر الوحيد فى مصر الباقى

من تكايا الطريقة الصوفية المولوية التى تأسست قبل سبعة قرون وانتشرت فى ولايات الدولة العثمانيـة، فى آسيا الصغرى وتركيا وفارس ومصر.

ولهذه الأهـمية، فـقد قـامت بعثـة ايطالية بتـرميم هذه التـكية للحفاظ عليها، وكان على رأس هذه البعـثة أستاذ فى جامعة روما هو الدكتور فانفـونى.. وقد استمرت عمليـة الترميم تسع سنوات متواصلة، حتى انتهت المهمة، وكان الاهتمام الأكبر بالقاعة الكبيرة التى يسـمونهـا «قاعة السـماع» داخل التـكية، وهى قـاعة مليـئة بالرموز الروحية.

وتقع التكية المولوية فى شارع السيوفية بحى الحلمية القديمة، وهى منطقة زاخـرة بالعمارة الاسلاميـة التاريخية حـيث المساجد والخنقاوات والأسبلة والكتاتيب والتكايا من مختلف العصور.

يذكر الأثرى عـبدالرءوف على يوسف أن هذه التكية هى مـثال فريد لهـذا النوع من التكايا الخاصة بطريقة «مـولاى جلال الدين الرومى» التى ينـتسـب إليـها الـدراويش المولوية، ويقـال ان هذه الطريقة قـد دخلت مصر فى القـرن الثامن عشر، ويقـال قبل ذلك بسنوات طويلة، وانهـا جاءت مـن تركيـا.. فهم أتراك أخـذوا هذه الطريقـة من القرن الرابع عـشـر الميلادى، أو العـصر العـثمـانى المتأخر.

ونظام هذه التكيـة أشبه بالأديرة تمامـا، وهى خاصة بشـيوخ ودراويش الطريقة المولوية التى تجيز العزف على الآلات الموسيقية فى مجـالس السمـاع، وخلال الأذكـار والرقصـات التعبـدية التى كانوا يقدمونها، وهى نوع من التفكير الدينى، الهدف منه الوصول إلى شفافية الجسد والصفاء الروحى.

ويذكر الأثرى عبدالرحمن عبدالتواب ان شيوخ الطريقة المولوية

وفدوا إلى مـصر من تركيـا، وان الطريقة المولوية كانت منتـشرة فى ولايات الدولة العثـمانية، وقـد ألغيت بعد حـركة أتاتورك وان ظلت باقية لبعض الوقت فى مصر.

ويضيف: أذكـر اننى رأيتهم سنة ١٩٢٧، وكنت وقتـها صبـيا صغيرا، وكانت ملابســهم التقليدية هى السروال الواسـع والقفطان والملابس المزركشة والطربوش المصنوع من اللباد، وكانت أذكارهم ورقصاتهم تصاحبها دقات الدفوف والعزف على الناى.

●●●

وكانـت الأذكار والرقـصات التـعبدية تقام فى قـاعة خـاصة يسمونها «قاعة السماع» أو «السمع خانة».

وقاعـة السمـاع مساحـتهـا ١٥×١٥ متـرا، تتوسطها «طـبلية خشبية» أشبه بمنصة مستديرة، ويحيط بها طابقان من الشرفات، وسقف القاعة عبارة عن قبة خشبية ترتكز على ١٢ عمودا.. وقطر هذه القبـة يزيد على عشـرة أمتـار، وبها دوائر ورســوم وزخاف عديدة تحمـل رموز واشارات الفلسفة الـصوفية التى تقوم عـليها الطريقة المولوية..

هناك دوائر ترمـز للأيام السـتة الـتى خلق الله فـيهـا الكون.. ودوائر ترمـز للزمن الالهى المطلق وهى الدائرة السابعـة.. وهناك الدائرة المشعة التى تمثل الفيض الالهى.. وهناك الطيور المحلقة فى السماء التى ترمز إلى تحرر النفوس من المادة وقيودها، والانطلاق إلى السماء.

●●●

وقـد عثـر مؤخـرا على وثيقـة أوضــحت تاريخ انشاء التكيـة المولوية.. والوثيقة عبارة عن «وقـفية» مؤرخة سنة ١٠٠٥ هجرية ـ أى منذ ٤١٣ سنة ـ وهى صادرة من محكمة قوصون.

وهذه الوثيقة «الوقفية» خاصة بأجور بعض العاملين فى التكية والسمع ـ خانة.

أجور العازفين على الناى.

وأجور الضاربين على الدفوف.

وأجور المسئولين عن تنظيف التكية.

وكذلك أجر المسئول عن تغذية «الثور» الذى كان يجر الساقية! وهو ما يشير إلى أنه كانت هناك ساقية، وان كان لم يعثر على أثرها بعد.

وقد حددت «الوقفية» أجر عازف الناى بـ ٣٠ درهما.. وأجر ضارب الدف بـ ٣٠ درهما أيضا.

وأشارت إلى نحو ثلاثين من الدراويش الذين يشتركون فى تأدية الطقوس الخاصة بحلقات الذكر أو الحضرة أو الرقصات التعبدية.

وأشارت أيضا إلى شيخ التكية، وإمام التكية، ومؤذن التكية، وآخرين يصل عددهم إلى حوالى ٩٠ فردا.

وكانت حلقات الذكر أو الحضرة أو الرقصات التعبدية تقام فى مغرب كل يوم جمعة وتبدأ بقراءة القرآن، يليها انشاد مقاطع من كتاب «المثنوى» ـ كتاب مؤسس الطريقة المولوية ـ ثم يشتركون جميعا فى الصلاة على النبى وآله وخلفائه الأربعة وأصحابه، والدعاء لمنشىء الطريقة وشيوخها وللسلطان.. وتستمر الطقوس إلى أن يبدأ العزف على الناى، ويتهيأ الدراويش للرقص الصوفى التعبدى، بمصاحبة الناى والدفوف.

● وكانت الأديبة مى زيادة من بين الذين حضروا حلقات الذكر، وكتبت عن ذلك ـ فى الأهرام ١٣ يونيو ١٩٢٨ ـ تقول ان «الحضرة» أو الذكر كان يبدأ بتلاوة آيات من القرآن الكريم. ثم

يمسك أحد الدراويش بكتاب، ويقرأ منه ترانيم أشبه بالتى تقرأ فى الأديرة، فى الوقت الذى يجلس فيه الدراويش القرفصاء مطأطئى الرءوس، ثم يأتى العزف على الناى تمهيدا لتحرك الدراويش.

ويذكر على باشا مبارك - فى الخطط التوفيقية - ان التكية المولوية كانت عامرة بالدراويش، وكانت لهم مساكن بها، وكانت هناك حديقة ملحقة بالتكية، وكان يعمل بالتكية «حضرة» كل ليلة جمعة.. وكان ايراد التكية السنوى سبعين ألفا ومائتين وسبعة وستين قرشا وثلاثين نصفا فضة! ويذكر أيضا ان التكية قد رممت فى عهد الخديو سعيد.

ويذكر الباحثون أن التكية المولوية كانت لها أوقاف كثيرة، وان الدراويش المولوية كانوا على درجة كبيرة من النزاهة والكرامة والاعتزال عن الناس.. لكنهم انتهوا إلى أن بعضهم أصبح يستأجر للمشى فى الجنازات من باب التبرك.. وكان بعضهم أيضا يذهب إلى بيوت الأعيان لتعليم الصغار العزف.. ثم اختفوا باغلاق التكية، مع اغلاق التكايا الأخرى، بعد أن أصبحت تشكل مظاهر غير مقبولة.

● ● ●

ومؤسس الطريقة المولوية هو جلال الدين الرومى الذى يلقبونه بـ«مولاى».. ومن هنا جاءت التسمية «الطريقة المولوية».

وجلال الدين الرومى، كما يذكر المؤرخون، هو شاعر اختار التصوف فلسفة روحية، انطلق منها إلى آفاق فنه الرفيع.. فهو واحد من الأعلام الخمسة للشعر الاسلامى.. ولم يشتهر كتاب فى الأدب الفارسى مثلما اشتهر كتاب جلال الدين الرومى واسمه «المثنوى».. وهو يقع فى ستة أجزاء.. ويضم زهاء خمسة وعشرين ألف بيت على وزن واحد.. وهو ديوان شعر وفلسفة

وأخـلاق ودين وتصـوف.. وهو يعـد أشـهـر كـتـاب فى تاريخ التصوف الاسلامى..

وقد أجـمع المحـققون والمـفكرون على أنه فى طليعـة المأثورات الأدبية العالمية.

«والمثنوى» هو لون من الشعر عـرف فى وقت مبكر من تاريخ الشعـر الاسلامى المكتوب بالفارسـية.. وكلمة «مثنوى» بالعـربية تعنى النظـم المزدوج.. أى الذى يتـفق فـيـه شطرا البـيت الواحـد وتتغـير القافـية فى كل بيت، وبذلك تتـحرر قصـائده من القافـية الواحدة.

وقد نظم جلال الدين الرومى «المثنوى» فى الفترة ما بين عامى ٦٥٧ و٦٦٢ هجرية.

وقـد ولد جلال الـدين الرومى بمدينة «بلخ» فى بلاد فـارس ـ ايران ـ وكـان مـولده فـى السـادس من ربـيع الأول سنة ٦٠٤ هـجرية سبتـمبر ١٢٠٧ ميلادية.. وكان يلقب بمـحمد جلال الدين «البلخى».. ولكنه اشتهـر بين الباحثين والعلماء على مـر العصور «بالرومى» نسبة إلى أرض الروم أى الأناضـول، التى هاجر إليها وقضى بها معظم حياته.

ويذكر أن جلال الدين الرومى كان فـى السادسة عندما وصل به أبوه إلى نيـسـابور لزيارة الصـوفى الفـيلسـوف فـريد الدين العطار.. الذى أخـذ جـلال الدين بين ذراعـيـه وقـال لوالده: ان مستقبلا عظيما ينتظر هذا الطفل.

وتنقل الشيخ بولده جـلال الدين بين بغداد ومكة ولاندره التى تعرف باسم قرمان.

وأخيـرا حطت العائلة رحالهـا فى مدينة قونيـة بتركيـا.. حيث شغل والده فيها منصب الوعظ والارشاد..

وواصل جلال الدين دراسته على يد العالم برهان الدين ـ محقق الترمذى ـ والذى أخذ مكان والده، فى الوعظ والارشاد، بعد وفاته..

ثم رحل جلال الدين إلى حلب، ومنها انتقل إلى دمشق التى كانت مقرا للشيخ محيى الدين بن عربى، فالتقى به ودرس على يديه.

وعاد جلال الدين إلى قونية عام ٦٣٨ هجرية وعمل بالتدريس فى مدارسها.. لكن عبقريته الشعرية لم تظهر إلا وهو على مشارف الأربعين..

●●●

● وكان لقاء جلال الدين الرومى بالشاعر الصوفى الجوال شمس الدين التبريزى، عام ٦٤٢ هجرية.. هو نقطة التحول الكبرى فى حياته.. فقد جعله ينصرف عن تلاميذه.. ويتفرغ لحياة التصوف والتأمل فى الكون.. وانطلق جلال الدين يعبر عن هذه الحياة بشعر بلغ أعلى درجات الجودة والعبقرية.

وفى عام ٦٤٤هـ وقعت فتنة كبرى فى مدينة قونية.. وقتل فيها شمس الدين التبريزى.. وقتل أيضا ابن جلال الدين الرومى.. فبكاهما جلال الدين بقصائد حزينة فى ديوان أسماه ديوان شمس تبريز.

ولم ينس جلال الدين أستاذه وصديقه ومعلمه الصوفى شمس الدين التبريزى.. ولم يكتف بالديوان الذى أسماه باسمه.. وانما ذكره فى مواضع متعددة من كتابه الشهير «المثنوى».. ثم أسس الطريقة «المولوية» وفاء لذكرى معلمه الذى غير مجرى حياته كلها.

واسم «المولوية» الذى أطلق على الطريقة يعود إلى اللقب الذى اشتهر به جلال الدين الرومى والذى كان يناديه به أتباعه وهو

«مولاى».. ومنه اشتق اسم «المولوّية»..

وقد تأسست الطريقة المولوية فى قونية.. ثم انتشرت فى آسيا الصغرى وتركيا وفارس ومصر.. واتخذت من «الناى» شعارا لها.. وقد افتتح جلال الدين الرومى ديوانه «المثنوى» بأبيات يتحدث فيها عن الناى.

وتوفى جلال الدين الرومى سنة ٦٧٢ هجرية، ودفن بجانب أبيه فى التكية التى بناها علاءالدين السلجوقى، ولايزال ضريحه مزارا مقصودا للآن فى مدينة قونية.

● وتمضى سبعة قرون.. ويأتى شاعرَ باكستان الصوفى العظيم اقبال، ليشيد بجلال الدين، وبشعره، يصفه بأنه المرشد العظيم الذى أيقظه من غفلته.. وكشف الغشاوة عن بصره.. وأشعل النار فى قلبه.. وصار دليل رحلاته فى الافلاك.

●● فى حفل الانتهاء من ترميم التكية المولوية، وافتتاح قاعة السماع حضر وزيرالثقافة فاروق حسنى، والسفير الايطالى فى القاهرة.. وعرضوا فيلما تسجيليا يصور التكية وقاعة السماع.. كيف كانت وكيف أصبحت بعد عمليات الترميم التى جرت..

وقدمت فرقة الفنون الشعبية عروضها فوق الطبلية التى شهدت رقصات الدراويش التعبدية.

وكان ذلك إيذانا بافتتاح التكية وقاعة السماع للزيارة.

●●●

وتبقى معلومة هامة يشير إليها بعض الباحثين، وهى أن السلطان سليم الأول الذى توجه بحملته إلى مصر ودخلها سنة ١٥١٧ ميلادية.. كان قد تنكر فى زى الدراويش المولوية، قبل أن يبدأ حملته، وجاء إلى مصر، وعاش فى هذه التكية بعض الوقت، يستطلع أحوال مصر ويتعرف على أخبارها.. ثم قام بعد ذلك بحملته، وهزم المماليك، ودخل مصر.

رحلة أولياء الله
فى
مصر المحروسة

١٠

كرامات أولياء الله
بين المصدقين والمنكرين

الشيخ الشعراوى :

وحكاية البشارة .. والريال الفضة

الشيخ الشعرانى :

رأيت الأسرى الذين جاء بهم سيدى أحمد !

الجبرتى : أغرب الكرامات التي تحدث عنها الناس « تأجيل يوم القيامة » !

ونأتى لحديث الكرامات..
وأى حديث عن الكرامات لابد أن يبدأ بالقول:
المعجزات للأنبياء..
والكرامات للأولياء..
والمعجزة تأتى لتأييد النبى فى مواجهة عناد قومه وتكذيبهم له..

أما الكرامة فهى تأتى «للولى» كجائزة، ومن ثم فهى سر بينه وبين ربه، وكتمانها مطلوب.

والكلام عن كرامات الأولياء يملأ مجلدات.

وهو موجود فى كل الكتب المعروفة بكتب «الطبقات والمناقب».

والكرامات على نوعين..

كرامات حسية.. وكرامات معنوية.

والكرامات الحسية هى تلك التى تأخذ اهتمام العامة عادة.

أما الكرامات المعنوية فهى للخاصة، وهى تنحصر فى التمسك بآداب الشريعة قولا وعملا.

وهناك من يتساءل: لماذا لم تظهر كرامات للصحابة مع عظم مكانتهم عند الله؟

ويرد الشيخ المناوى على ذلك فى كتابه الطبقات الكبرى ويقول: لأن قوة ايمان الصحابة لا تحتاج إلى الكرامات، ولأن الزمن الأول كان كثير النور، فالقنديل لا يظهر نوره بين القناديل،

بخلاف الظلام، والنجوم لا يظهر لها ضوء مع الشمس!

وقد عرّف الشيخ المناوى الكرامة بأنها اظهار أمر خارق للعادة على يد الولى، مقرون بالطاعة والعـرفان، بلا دعوى نبوة، وتكون للدلالة على صدقه وفضله، أو لقوة يقين صاحبها.

وهناك من العلـمـاء من أنكر المبـالغـة فى اخـتـلاق الكرامـات والاعتقاد فيهـا، وهؤلاء يقولون ان الكرامة لا ينبغى أن تبلغ مبلغ خرق العادة، وكل ما كان معـجزة لنبى لا يجوز مثله كرامة لولى، وغاية الكرامات اجابة دعوة.

ويقول القشيرى ان الكرامـة لا ينبغى أن تنتهى أبدا إلى وجود ابن بغير أب.

وقد بالغ أتباع الأولياء فى اختلاق الكرامات التى تصل إلى حد المعجزات، بل وما هـو أكثر من المعجزات، ونسبوهـا إلى شيوخهم من الأولياء فكانت بمثـابة الافتراءات التى أساءت إليـهم وهم منها براء.

ونحن لا نقف فى دائرة المصدقين لكل مـا يقال عن الكرامات.. أو دائرة المنكرين لكل ما يقال عنها.

ولكننا نتناولهـا من خـلال آراء الفقـهاء، وبعـضـهم كـانت لهم وقائع وحكايات خاصة ومن هؤلاء:

● الشيخ الشعراوى وحكايته مع السيد البدوى.

● والشيخ عبدالوهاب الشعرانى صاحب كتاب الطبقات الكبرى وحكايته مع السيد البدوى أيضا.

● والدكتور عـبدالحليم محمود، شـيخ الجامع الأزهر الأسبق، وحكايته مع أبوالحسن الشاذلى.

● أيضا مـا يرويه مؤرخنا الجـبرتى عن أغرب الـكرامات التى تحدث عنها الناس فى زمانه وهى كرامة «تأجيل يوم القيامة»!

ثم ما يقال عن كرامات سيدى ابراهيم الدسوقى وسيدى أحمد الرفاعى.

● ونبدأ بحكاية الشيخ الشعراوى مع سيدى أحمد البدوى.

فى رحاب سيدى أحمد البدوى عاش الشيخ الشعراوى سنوات، كان يعمل خلالها مدرسا بالمعهد الدينى بطنطا.

وذكريات الشيخ الشعراوى عن تلك الأيام التى عاشها إلى جوار سيدى أحمد البدوى كثيرة جدا..

يعبر الشيخ السنين الطويلة إلى الوراء.. ويتذكر وقائع تلك الأيام البعيدة.. ويروى.

يقول الشيخ: بعد أن تخرجت فى الأزهر.. عملت مدرسا فى معهد طنطا الدينى.. كنت أسكن فى بيت ايجاره «اتنين جنيه».. وكنت حريصا على أن أصلى المغرب والعشاء فى مسجد سيدى أحمد البدوى.

كان مرتبى فى ذلك الوقت عشرة جنيهات.

وكنت أعانى من ظروف الحياة الصعبة.

عانيت وأنا طالب أزهرى.

وعانيت أكثر بعد أن تخرجت وعملت مدرسا فى معهد طنطا.. كانت معاناتى أشد لأن الأولاد كانوا قد كبروا وزادت الأعباء..

ولم يكن يمضى شهر دون أن أقترض بعض المال لمواجهة أعباء الأسرة والأولاد.

وكان لى صديق فى بلدنا دقادوس اسمه محمد حسنين.. كان صاحب مطعم.. وكان يمدنى بكل ما أحتاجه من مال على سبيل الدْين.. وان كان هو لا يعتبره دينا بحكم ما بيننا من صداقة وطيدة.

كنت اقترض منه شهريا بعض المال لسد احتياجاتى.

وتراكم الدين حتى أصـبح المبلغ ٣٥٥ جنيها، وهو مبلغ كـبير بالنسبة لظروف ذلك الوقت.

وحـدث أن أعلنوا فى سنة ١٩٤٨ عن بعـثة من الأزهر للعـمل بالسـودان.. وكان من الممكن أن أسـافـر ضمن هذه البـعثـة، لكن صـديقى محـمـد حسنين اقنعـنى بأن السفـر فى هذه البـعثـة لا يساوى ولا يستحق الغربة فصرفت النظر عنها.

وبمرور الأيام اشتدت معاناتى.. وازداد قلقى.

وفى سنة ١٩٥٠ جاءنى شـيخ جليل هوالشيخ أحمـد حجاب.. جاءنى فى البيت.. وقال لى:

ياولد..

قلت: نعم يامولانا..

قال الشيخ حجاب:

ابقى روح ودع سيدك أحمد البدوى.

فسـألته: أودعه! ليه؟

قال الـشيخ حـجاب: لقـد بشرنى هذه الليلة بأن هذه هـى آخر سنة لك فى طنطـا.. وهو لا يبـشرنى إلا إذا كـانت هناك حـاجـة حلوة!

وقال الشيخ الـشعراوى: بعد أيام من هذه «البـشـارة».. بشارة سيدى أحمـد البدوى. علمت بترشيحى ضمن بعـثة الأزهر للعمل فى مكة المكرمة!

●●●

ويروى الشيخ الشـعراوى قصة ترشـيحه ضمن بعـثة الأزهر للعمل فى مكة المكرمة.. فيقول: كانت قصة غريبة! كانت السعودية قد أنشـأت كلية للشـريعة وأرسلت للأزهـر تطلب ترشيح عـشرة للعمل بالتدريس فى هذه الكلية.. وفوجـئت بالشيخ حمروش شيخ

الأزهر فى ذلك الوقت يستدعينى من طنطا ويقول لى:

ياولد.. حتروح مكة.. ضمن البعثة.. تشتغل هناك.

قلت: بيقولوا ان المعيشة هناك صعبة؟

قال: ياولد.. مفيش حد تعرض عليه مكة ويرفضها.. سافر.. واعمل عمرة. وان عجبك الحال اقعد.. وإذا لم يعجبك ارجع.

ومضى الشيخ الشعراوى يقول: وخرجت من عند الشيخ حمرش وأنا غير مستريح.

لم أكن قد اتخذت قرارى بعد..

وقد تبينت لى الحقيقة بعد ذلك.. حقيقة ترشيحى للسفر ضمن البعثة للعمل بالسعودية.

فالذين رشحونى ووضعوا اسمى ضمن البعثة لم يكن قصدهم مصلحتى.. وإنما كان القصد هو «ابعادى» عن شيخ الأزهر عندما عرفوا انه يفكر فى نقلى من طنطا للعمل فى مكتبه! وقد عملوها وطبخوها من وراء ظهر شيخ الأزهر وأفهموه ان السفر فى صالحى! وأنه مكافأة لى!

ويضيف الشيخ الشعراوى موضحا:

كانت «مؤامرة ضدى» لإبعادى عن الأزهر وشيخ الأزهر.. والذين دبروها هم المشايخ اللى كانوا بيتصارعوا على المنصب!

وسافرت..

سافرت ومعى أمى إلى مكة المكرمة..

سافرت سنة ١٩٥٠.

وشاء الله أن يكون سفرى خيرا..

وهكذا تحققت «بشارة» سيدى أحمد البدوى وكانت خيرا.

●●●

ويضحك الشيخ الشعراوى من قلبه وهو يقول: كانت

السعودية فى ذلك الوقت تتعامل بالفضة والذهب وليس بالفلوس الورق.. وكان كل مبعوث يعطى له عند حضوره مرتب ثلاثة شهور.. والمرتب ثلاثة أضعاف المرتب الذى يحصل عليه فى مصر.. ويضربون حاصل الجمع فى ١٤ ريالا ويضيفون إلى جانب ذلك مرتب ثلاثة شهور هى أجرة السكن مقدما.. وعندما ذهبت لصرف هذا المبلغ من الخزينة فوجئت بأن المبلغ عبارة عن فلوس فضة.. وانه موضوع فى «شيكارة» والشيكارة تقيلة!

وقال لى موظف الخزينة: روح هات لك «تكرورى»!

فسألته: يعنى ايه «تكرورى»! وليه؟

قال: تكرورى يعنى «شيال».. علشان يشيل لك «شيكارة الفلوس»!

وعرفت ان هذا يحدث عادة لمن يأخذ «شيكارة فلوس فضة»!

وأحضرنا «التكرورى» أى الشيال.. وفوجئت بأن معه «قفة» وقام بوضع «الشيكارة» فى القفة وحمل القفة على كتفه.. وجئنا إلى البيت.

وعندما وصلت البيت.. وضعت القفة أمام أمى.. فسألتنى:

القفة دى فيها ايه؟

قلت لها: فلوس.. قفة فلوس!

وضحكت طويلا..

وأخذت يدها وقبلتها..

وتذكرت يوما «بشارة» سيدى أحمد البدوى!

حكاية الريال الفضة!

ومضى الشيخ يقول: هذه حكاية..

وحكاية أخرى لا أنساها أبدا..

حدثت هذه الحكاية سنة ١٩٤٨.

كنت فى بلدنا دقادوس..

وكان والـدى قد أعطانى «ريال فـضة» أخـذته وأنا فى طريقى للسفر إلى القاهرة.

ونزلت فى محطة بنها.. لآخذ القطار إلى القاهرة.

وفى المحطة وضعت يدى فى جيبى فلم أجد «الريال الفضة»!

وأحسست بالضيق.. فلم يكن معى غيره.

ووقفت حزينا.. ماذا أفعل؟

كانت معى « قفة » بها « زوادة » أى طعام.

ووضعـتها إلى جـانبى.. ووقفت أتلفت حـولى فى ضيق وقلق بحثا عن انقاذ..

ولمحت رجلا «بعمامة حمراء» وهو قادم من بعيد..

وقلت لنفسى.. لعل هذا الرجل الأحمدى ينقذنى!

فـالعمـامـة الحـمراء يرتديهـا عـادة شـيوخ وأتبـاع الطريقـة الأحمدية.. طريقة سيدى أحمد البدوى.

وأنا من المحبـين لسيـدى أحمد البـدوى وتاريخ سيدى أحـمد البدوى.. تاريخ طويل ومجيد..

كنت أتصـور ان الـرجل سـوف يبطىء من خطـواته.. عندمـا يتطلع إلىّ ويرى حالى..

لكنه مر من أمامى ولم يلتفت لى.

وزاد ضيقى وقلقى وحزنى..

ووجدتنى أقول لنـفسى.. إيه ياسيدى أحمـد! أنا كنت باحسب انك باعت لى نجدة!

وقـــبل ان أتمهـــا لمحت على الأرض فى وسط الـطريق «ريال فضة»!

فأسرعت وأخذته وفرحت كثيرا..

واتجهت إلى القطار.. وركبته إلى القاهرة.

●●●

ويمضى الشيخ فى روايته فيقول: ونسيت هذه المسألة بعد ذلك.

ومرت الأيام..

وبعد سنتين من هذه الحكاية سافرت للعمل فى مكة المكرمة، أستاذا بكلية الشريعة..

سافرت سنة ١٩٥٠..

وفى نهاية السنة الدراسية جئت لأقضى الاجازة فى مصر..

كانت أمى معى فى السعودية.. وجاءت معى فى الاجازة ووصلنا مصر..

وركبنا كما هى العادة إلى بنها.. على أن نأخذ مواصلة من بنها إلى بلدنا دقادوس..

وفى محطة بنها.. وقفت مع أمى نستريح قليلا.

وفجأة لمحت الرجل الأحمدى صاحب العمامة الحمراء.. وتذكرت حكاية «الريال الفضة»..

كان الرجل يقف بعيدا..

واستأذنت من أمى وأسرعت إليه.. وكان قد بدأ يبتعد.. وأخذت يده لأقبلها وهو مشغول عنى..

ووضعت يدى فى جيبى وأخرجت عشرة جنيهات.. وهى مبلغ كبير فى ذلك الوقت، وقدمتها له.

وفوجئت به يبعد يدى عنه دون أن ينظر إلىّ ويقول:

أنا عايز «الريال الفضة» بتاعى!

وانصرف..

واندهشت!

ويضحك الشيخ الشعراوى من قلبه وهو يقول معلقا بطريقته وكأن الرجل لايزال أمامه:

يخرب عقلك.. هو أنت بتاع «الريال الفضة»!
ويضيف في دهشة:
حاجات عجيبة!

●●●

وقال الشيخ الشعراوى: هناك أمور يقف العقل العادى منها موقف الانكار.. لكن حين ينتقل صاحب هذا العقل إلى شيء أعلى من العقل وهو «المواجيد» فهو يقرها..

وأضاف الشيخ.. ان الانسان العادى إذا ما نشأ فى طاعة الله، وعاش فى منهج الله، واستجاب لندائه كلما قيل الله أكبر.. ووقف خاشعا بين يديه حينما ينوى الصلاة. خاضعا لعزته فى الركوع وفى السجود. وعاش فترة من زمنه فى صفاء لا تشغله فيه أمور الدنيا.. إذا ما فعل ذلك فلابد أن يجد فى مواجيده الدينية ما يجعله يقر هذه المسائل ويبصم عليها بالعشرة!

وأضاف الشيخ.. لكن انسانا لم يرتض هذه الرياضة.. ولم يعش هذه المعيشة.. فهو ان تحدثت عنها ينكرها.. ويا ليته يقف عند حد الانكار بل يتمادى إلى أن يتهم من يقول بها بأنه أبله ومجنون ودرويش ومجذوب وغير ذلك من هذا الكلام.

ومثل هذا الانسان معذور لأنه لم يذق! والذى لم ير لا حجة له عند نقد من يرى.

الشعرانى: شاهدت الأسرى على المئذنة وسمعت صوت السيد البدوى من المقبرة!

● ونأتى لحكاية الشيخ عبدالوهاب الشعرانى مع السيد البدوى..

والشيخ الشعرانى هو صاحب الكتاب الشهير «الطبقات الكبرى» الذى يروى الكثير عن سيرة السيد البدوى وكراماته.

واسم الشيخ الشعراني يأتي لدى البعض مقرونا باسم «الإمام» من باب الاجلال والتقدير..

ومعظم الذين كتبوا عن كرامات السيد البدوي توقفوا طويلا عند الحكايات التي رواها الشعراني عن كرامات السيد البدوي.. واعتبروه من «المنحرفين» الذين أساءوا إلى السيد البدوي، بما نسبه إليه من كرامات بعضها يفوق المعجزات، وبعضها لا يليق أن يتردد على لسانه!

ومن هذه الحكايات التي يعتبرها الشيخ عبدالوهاب الشعراني من كرامات السيد البدوي قوله: ولما دخلت بزوجتي فاطمة أم عبدالرحمن وهي بكر مكثت خمسة شهور لم أقرب منها، فجاءني سيدي أحمد البدوي وأخذني وهي معي وفرش لي فرشا فوق ركن القبة التي على يسار الداخل، وطبخ لي حلوى ودعا الأحياء والأموات إليها ، وقال أزل بكارتها هنا، فكان الأمر تلك الليلة!

وقد أوردت دائرة المعارف الاسلامية هذه الحكاية في سياق تناولها لسيرة السيد البدوي، وقالت انها من المظاهر التي تنافي الأخلاق كما أوردتها الكثير من الكتب التي تتحدث عن السيد البدوي ، ومنها كتاب فهمي عبداللطيف الذي تناولها بالسخرية.

والشعراني لم يكن معاصرا للسيد البدوي، والحكايات التي يرويها عن كرامات السيد البدوي، هي من كرامات ما بعد الوفاة.

ومن هذه الحكايات الغريبة إن السيد البدوي كان يمد يده وهو في طنطا فيأتي بأسرى المسلمين من بلاد الفرنج ويلقي بهم فوق مسجده!

والشيخ الشعراني لا يكتفي بترديد ما قاله غيره من كتاب التراجم مثل السيوطي والشبلنجي الذين قالوا انه مما يؤثر عنه قيامه باحضار الأسرى من بلاد الفرنج، وإنما يدخل نفسه «كشاهد عيان» لهذه الكرامات! ويقول:

«وأخبـار السيد البـدوى ومجيـئه بالأسرى مـن بلاد الفرنـج واغاثة الناس من قطاع الطـرق وحيلولته بينهم وبين من اسـتنجد به لا تحويها الدفاتر.. وقد شاهدت أنا بعينى سنة خمس وأربعين وتسعمائة أسيرا على منارة (أى مئذنة) سيدى عبدالعال (الذى هو خليفة البدوى) مقيدا بالأغـلال، فسألته عن ذلك فقال: بينما أنا فى بلاد الفـرنج آخر الليل، توجـهت إلى سيـدى أحمـد البدوى، فـأتى وأخذنى وطار بى فى الهواء ثم وضعنى هنا»!

وقد صنع دراويش السـيد البدوى مـن حكاية «الأسرى» هذه أنشودة أخذوا يتغنون بها فى مولد السيد البدوى، وهى الأنشودة الزائعـة التى تقول «الله الـله يابدوى جاب اليـسرى» - أى جـاب الأسرى!

● ويذكر الشـيخ مصطفى عبـدالرازق ان الاعتقـاد الشائع بين العامـة ان السيـد البدوى ظل ينقذ الأسـرى بعد مماته إلى عـصر مـتأخـر.. وان مـسألة الأسـرى هذه ترجع إلى واقـعـة تاريخيـة مشـهورة، وهى ان وزارة الأوقـاف كانت قـد أرسلت بالسـيوف والدروع التى غنمها الجيش المصرى من جيش لويس التاسع الذى أسر فى دار ابن لقـمان بالمنصـورة لتخزينهـا فى مخزن المسـجد الأحمـدى بطنطا، فكان دراويش السـيد البـدوى وأتباعه يتـقلدون هذه الدروع والسيوف فى مواكب الموالد الأحمدية ويقولون للناس انهم الأسرى الذين جـاء بهم السيـد البدوى من بلاد أوروبا! ولما تقدمت الأيام ومرت السنون وأخـذوا يقولون انه من سلالة أولئك الأسرى!

وقام دراويش السيد البدوى بعـد ذلك بعمل السيوف والدروع من أجل هذه المواكب!

ونعود إلى حكايات الشـيخ الشعرانى الغريبـة التى يرويها عن كرامـات السيد البدوى ومنهـا قوله انه كان ذات يوم جـالسـا على

سطح مقام السيد البـدوى وقت الزوال، فرأى «الهلال» الذى فوق قبة الضـريح «يدور ويزعق كالحجر العظيم من حجـارة المعصرة الذى ليس تحته حبوب»! ولم يلبث بعد ذلك أن جاء الخبر بانتصار السلطان سليم العثمانى على أهل رودس!!

ويضيف الشعرانى إلى ذلك قوله: «وكلما حدث فى المملكة أمر، فإن تابوت السيد البدوى كـان «يقرقع»! وحدث مرة أن دق تابوت السيد البـدوى «وقرقع كالرعد القـاصف، وزلزلت الأرض، وفرفر الطيـر ودار الهلال» فكان ذلك ايذانـا بعزل صـاحب الدولة، كمـا جاءت الأخبار بذلك بعد قليل»!

ويحكى الشعرانى أيضا أنه زار مرة مـقام السيد البدوى، وبعد الزيارة استشاره فى السفر إلى مصر، فرد عليه السيد البدوى من القبر قائلا: «سافر وتوكل»!

ويؤكد الشعرانى أنه سمع ذلك بنفسه!

ويذكر الشـعرانى أيضا أنه ركب فى «محـفة طائرة» طافت به جميع أقطار الأرض، وان المحفة كـانت تمر على قبور المشايخ ومن فوق أضرحتهم «إلا ضريح سيـدى أحمد البدوى وسيدى ابراهيم الدسوقى، فإن المحفة نزلت من تحت عتبة أحدهما ومرت من تحت ضريحيهما»!

وحكايات «الإمام» الشـعرانى عن السيـد البدوى كثـيرة، وهذه الحكايات هى التى جـعلت الكثيـرين من المؤرخين يتـهمـونه بأنه المسئول الأول عن نشر كثيـر من الخرافات التى صورها له خياله بين معاصريه، وانه استغل خيـاله الخصب، وسرعة بديهته، وقوة ذكائه، فى صياغة تلك الحكايـات التى ترضى العامة والجهال من الناس.

●●●

وليس الشعراني وحده الذي يتحمل مسئولية نشر الخرافات والافتراء على السيد البدوى، فجماعة المنتفعين من أتباعه أخذوا، على مر الأجيال، يختلقون القصص والحكايات عن كراماته واعجازه، منذ أيام المماليك فى القرن الثالث عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى، ليدخلوا ادعاءاتهم فى عقول البسطاء من عامة الناس وبخاصة أبناء الريف، وكان هدفهم من ذلك هو وضع السيد البدوى فى مكان الزعامة بالنسبة للأولياء فى مصر، وتقديمه فى صورة قطب الأقطاب، وولى الأولياء، وكبير الصالحين، فمن أراد قضاء حاجة فلا داعى لإضاعة الوقت والجهد فى الطواف على صغار المشايخ، وإنما عليه بالتوجه إلى مقام السيد البدوى مباشرة، وبقدر ما يدفع وما يضع فى صندوق النذور يكون الأجر والثواب!

فالمنتفعون من أتباع السيد البدوى هم الذين جعلوه قادرا على احياء الأموات وإماتة الأحياء!

وهم الذين جعلوه قادرا على «طى الأرض» فى خطوات، قاطعا المسافة من شمال العراق إلى جنوبه فى سبع عشرة خطوة! وقطع المسافة من مكة إلى طنطا فى احدى عشرة خطوة!

وهم الذين جعلوه قادرا على شفاء المرضى بنظرة واحدة!

وهم الذين جعلوه قادرا على أن يقضى الأربعين يوما لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا!

وهم الذين جعلوا له الهيبة، وأنه يضع اللثامين على وجهه حتى لا يصاب من يراه من الناس بصدمة من فرط هيبته، قد تنتهى بالموت فورا! ولتأكيد هذه الخرافة قالوا ان أحد أصحابه ـ وهو الشيخ عبدالمجيد ـ قال له يوما «أريد أن أرى وجهك ياسيدى».. فقال له السيد البدوى «ياعبدالمجيد كل نظرة برجل!»..

فقال عبدالمجيد «ياسيدى أرنى وجهك ولو مت».. فكشف له أنسيب البدوى عن وجهه فصعق عبدالمجيد ومات فى الحال!

وهكذا أحال المنتفعون من الأتباع شخصية السيد البدوى إلى أسطورة مثيرة!

أغرب كرامة: تأجيل يوم القيامة!

لكن أطرف الحكايات التى تروى عن كرامات السيد البدوى هى تلك التى تشفع فيها لتأجيل موعد يوم القيامة!

والذى يروى لنا هذه الحكاية الطريفة هو المؤرخ الجبرتى فى كتابه عجائب الآثار.. يقول: حدث فى سنة ١١٤٧ هجرية ـ ١٧٣٤ ميلادية أن أشاع الناس فى مصر أن القيامة قائمة يوم الجمعة ١٦ من ذى الحجة..

وانتشرت هذه الاشاعة فى جميع أنحاء البلاد، فأخذ الناس يستعدون لتلك اللحظة الرهيبة ويودعون بعضهم بعضا.. وفى كل يوم يقولون «بقى من عمرنا ثلاثة أيام» ثم «بقى من عمرنا يومان».. وثمة فريق من «المخاليع» (أى الذين تعودوا الخلاعة) أسرعوا إلى المنتزهات وأماكن اللهو وهم يقولون «دعونا نعمل حظ ونودع الدنيا قبل أن تقوم القيامة»! هذا فى حين أكثرت غالية الناس من الاستغفار والصلاة وعمل الخيرات والطيبات.

وجاء يوم الجمعة ولم تقم القيامة!

ثم جاء السبت ومر فى سلام.

وعندئذ علل الناس عدم قيام القيامة بأن السيد البدوى وابراهيم الدسوقى والشافعى تشفعوا عند الله عز وجل لتأجيل قيام الساعة، حتى يشبع الناس من الدنيا!! فاستجاب لشفاعتهم!! وكان أن زادت مكانة السيد البدوى وزميليه عند الناس لقيامهم

بتلك الشفـاعة، فأخـذ الناس فى مصر يقولون «الـلهم انفعنا بهم، فإننا لم نشبع من الدنيا»!

ويعقب الجبرتى على هذه الحكاية بقوله:

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكاء!

● ● ●

● ونعـود فنقـول ان انتقـال الخـرافـات التى نسـبهـا الشـيخ عبدالوهاب الشعـرانى للسيـد البدوى، وكـذلك تلك التى اختلقـها المنتفعون من الأتباع.. لا يعنى ان سـيدى أحمد البدوى لم تكن له كرامات..

نعم كـانت له كـرامات، ولكنهـا ليـست فى صـورة المعجـزات والخرافات التى حكى عنها الشيخ عبدالوهاب الشعرانى، وأضاف إليها المنتفعون من أتباع الشيخ.

وأكبـر كرامات السـيد البدوى وأعظمـها أثرا، ليـست الكرامات الحسـية، وإنما الكرامـات المعنوية التى تتـمثل فى التمـسك بآداب الشريعة قولا وعملا، والتى تجعل منه قدوة طيبة.

رحلة أولياء الله
في
مصر المحروسة

١١

كرامات أولياء الله
بين المصدقين والمنكرين

د. عبد الحليم محمود :
منكرو الكرامات يتميزون بالفلطحة .. وقساوة القلب

القرآن يحدثنا عن :
معجزات الأنبياء .. وكرامات الأولياء

شاهدت بعيني كرامات تعد من خوارق العادات

في منزلي وفي غرفة مكتبي :

رأيت إنسانا طويلا نحيفا يميل لونه إلى السمرة وعلى رأسه شال أبيض .. ولم أشعر بالخوف

ويتواصل الحديث عن كرامات الأولياء..
ويروى الدكتور عبدالحليم محمود، الإمام الأكبر وشيخ الأزهر الأسبق كيف تناول هذا الموضوع عندما بدأ فى تأليف كتابه عن أبوالحسن الشاذلى، موضحا الأسباب العامة والخاصة التى جعلته لا يتحرج من نقل بعض كرامات أبوالحسن الشاذلى:

يقول: حينما بدأت فى تأليف هذا الكتاب فوجئت مباشرة بمشكلة هى مشكلة الكرامات المنثورة فى كل الكتب القديمة التى أرخت لأبى الحسن الشاذلى، وهى من الكثرة بحيث لا يمكن اغفال الحديث عنها..

هل أنقلها جميعا وأدع مسئولية روايتها على الذين ذكروها؟

وإذا ما نقلتها جميعا فهل أكون بذلك قد أحسنت بالنسبة لأبى الحسن، أم أكون قد أسأت بالنسبة إليه؟

إن الكثير من المثقفين فى العصر الحاضر يمجون ذكر الكرامات هكذا بدون حساب، وفى اسراف مسرف، ومما لاشك فيه ان اتباع الولى أينما كان وأينما كانوا، يحاولون الاشادة بذكره فيروون عنه الكرامات الكثيرة، فيصادف ذلك قبولا وارتياحا عند البعض، ونفورا واعراضا عند الآخرين.

ولقد وصل الأمر ببعض المنكرين للكرامات أن أنكروا كل المعجزات الحسية التى ذكرت للرسول صلى الله عليه وسلم فى

السنة الصحيحة وفى الأخبار التى محصها رجال الحديث، واكتفوا ـ فى المعجزات ـ بالقرآن الكريم نافين كل شىء غيره مما ذكرته كتب الصحاح على اختلاف ألوانها.

إن روح الكثيرين فى العصر الحاضر تنادى بانكار الكرامات، وتسخر فى وضوح أو فى اشارات بكل من يروى كرامة لولى.

هل أجارى هؤلاء أم أولئك؟

ومع قيام هذه المشكلة أمامى فى وضوح فإننى لم أتردد قط فى أن أبدأ كتابى هذا، بعد المقدمة، بكرامة لأبى الحسن تلك التى رواها أبو العباس رضى الله عنه ـ وما شككت قط فى ثبوتها، وما شككت قط فى صحة النقل، ثم وجدتنى أنقل هذه الكرامة فى مناسبة، وتلك فى أخرى، ولم أجد فى ضميرى عتابا، ولا فى شعورى تراجعا، ولا فى ذوقى نفورا. حقيقة انى لم أنقل كل الكرامات، بل ولا أغلبها، و لكنى نقلت منها ما رأيت له مناسبة فى كتابى.

لماذا لم أجد حرجا فى نقل بعض الكرامات فى كتابى هذا؟

للأسباب الآتية:

١ ـ ان القرآن الكريم يحدثنا فى اسلوب لا لبس فيه عن المعجزات التى تفضل الله بها على رسله وأنبيائه.

ويحدثنا عن الكرامات التى منحها سبحانه لأوليائه وأصفيائه.

ألم يحدثنا القرآن بصورة لا تحتمل التأويل بأن عيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، وانه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله؟

ألم يحدثنا عن سيدنا موسى بأنه ألقى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون، وبأنه أخرج يده فإذا هى بيضاء للناظرين؟

وسيدتنا مريم ألم تحمل بسيدنا عيسى من غير أب خارقة بذلك قوانين الطبيعة، وكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، قال: يامريم انى لك هذا؟

قالت: هو من عند الله.

٢ ـ ثم ان ما نسميه قوانين الطبيعة إنما هو فى الواقع «عادات» الطبيعة.

وخرقها ليس بمستحيل عقلا.

وخرقها لا يترتب عليه مستحيل.

وعادات الطبيعة لا تسيطر على رب الطبيعة.

٣ ـ ثم ان هؤلاء الذين تجرى على يديهم المعجزات أو الكرامات لا ينسبونها لأنفسهم، وانما ينسبونها إلى المتفضل الوهاب، صاحب القدرة والقهر، إنهم ينسبونها إلى من هو على كل شيء قدير.

٤ ـ والملاحظ فى منكرى الكرامات على مر العصور، انهم يتميزون بألوان من الغلظة وقساوة القلب، فلا تجد فيهم رقة الشعور، ولا صفاء البصيرة، ولا ملائكية الروح، وهم ـ إن لم يكونوا من الملاحدة ـ من الصنف الذى لم يخالط الايمان شغاف قلبه وانما بقى صورة عائمة على السطح.

٥ ـ وجمهرة المسلمين على مر العصور، عامتهم وخاصتهم، وقممهم الشوامخ فى العلم والدين من الذين يثبتون الكرامات ويؤمنون بها.

●تلك هى الأسباب العامة التى لم تجعلنى أتحرج من نقل بعض كرامات أبى الحسن.

●وأضيف إليها بعض الأسباب الأخرى الخاصة، أضيف لأواجه المشكلة فى صراحة، أضيفها معلنا فى غير كبرياء ولا

فــخــر بأننــى من الأشــخــاص الذين لا تلعــب بهم الأوهام ولا التخـيلات، ولم أكن في يوم من الأيام فريسة أباطيـل أو خرافات، ولقـد باعد الله سـبحانـه ـ وله الفضل والمنة ـ بينى وبين التـأثر بالايحاء الموهم.

فإذا أضفت أسبـابا خاصة فإنما أضيفهـا عن يقين وثقة ولعل الله يهدى بها بعض من لايزال في قلوبهم الاستـعداد للخير، وفى أرواحهم أسس الاهتداء إلى الحق.

فى فتـرة من الفتـرات ابتلانى الله بموضوع شق عـلى نفسى وعلى نفس المحيطين بى، واستـمر الابتلاء مدة كنا نلجأ فـيها إلى الله طالبين الفرج.

وذات يوم أتى عندى بعض الصـالحـين ـ وكان على علم بهـذا الابتلاء ـ وأعطانى ورقة كتبت فيهـا صيغة من صيغ الصلاة على رسول الله صلى الله عليـه وسلم، وقال: اقرأها، واستغرق فـيها، وكـررها منفردا فى الليل لعل الـله يجعلهـا سبـبا فى تفـريج هذا البلاء.

واعتكفت فـى غرفة بعـد صلاة العشـاء، وأضأت نور الغـرفة، وأمسكت الورقة بيدى وأخذت فى تكرار الصيغـة واستغرقت فيها وإذا بى أرى فجـأة ان الحروف التى كتـبت بها الصيـغة مضيـئة تتلألأ نورا، ومع أن الغرفة كانت مضيئة فإن الحروف كانت تتلألأ نورا فى وسط هذا النور.

ولم أصدق عينى فغمـضتهما وفتحتـهما عدة مرات فكان النور على مـا هو، فوضـعت الورقـة أمامى ووضـعت يدى على عـينى أدلكهما وادعكهما، ثم فتحت عينى فإذا بالحروف على ما هى عليه تتلألأ نورا، وتشع سناء.

فحمدت الله وعلمت أن أبواب الرحـمة قد فتحت، وان هذا النور

رمز ذلك، وفعلا أزال الله الكرب وحقق الفرج بكرامة هذه الصيغة المباركة اللهم صل صلاة جلال، وسلم سلام جمال، على حضرة حبيبك سيدنا محمد. وأغشه اللهم بنورك كما غشيته سحابة التجليات فنظر إلى وجهك الكريم وبحقيقة الحقائق كلم مولاه العظيم الذى أعاذه من كل سوء، اللهم فرج كربى كما وعدت أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، وعلى آله وصحبه آمين.

وأمر آخر من خوارق العادات شاهدته بنفسى:

فى ذات صباح كنت جالسا، فى المنزل، فى غرفة المكتب، كعادتى، وكنت فى تلك اللحظة مطأطىء الرأس، ثم رفعت رأسى ناظرا أمامى وإذا بى أجد أمامى انسانا فأخذت فى تأمله دون أن أشعر قط بخوف أو فزع.

كان طويلا، أقرب إلى النحافة منه إلى السمنة يميل لونه إلى السمرة، وعلى رأسه شال أبيض أو ما يسميه الحجازيون: «الغطرة» وكان فى وقفته منحنيا قليلا، وقد تأملنا ملابسه أيضا فى تفاصيلها وشكلها، لم يتحدث معى، ولم أتحدث إليه.

وبعد فترة ونحن على هذا الوضع، أنظر إليه فى تحديق، ويمد عينيه إلى فى نظرات ثابتة أخذ يشف شيئا فشيئا، وألاحظ أنا فى وضوح التدرج فى هذه الشفافية وانتهت الشفافية بزواله تماما دون أن يتحرك من موضعه، ذلك ما شاهدته بنفسى.

وماذا يكون خرق العادات غير هذا.

إن الذين ينكرون خرق العادات، وينكرون الكرامات لأولياء الله، انما ينكرون شيئا أثبتته تجارب الانسانية منذ أن وجدت الانسانية، وأثبته القرآن الكريم، وأثبته جمهور الأمة وقد رأيت أنا خرق العادات بنفسى وبعينى كما رويت سابقا.

ومن أجل كل ذلك أثبت ما أثبت فى الكتاب من كرامات أبى الحسن وبدأته بعد المقدمة مباشرة بكرامة من كراماته، رواها أقرب تلاميذه ومريديه إليه وهو القطب الكبير أبوالعباس المرسى الذى كان شاهد عيان فيها.

●●●

● والكرامة التى بدأ بها الدكتور عبدالحليم محمود كتابه عن أبى الحسن الشاذلى نقلا عن رواية أبوالعباس المرسى الذى كان شاهد عيان فيها تقول على لسان أبوالعباس المرسى:

كنت مع الشيخ أبوالحسن الشاذلى بالقيروان (فى تونس) وكان ذلك فى شهر رمضان، وكانت ليلة جمعة، وكانت الليلة هى ليلة سبع وعشرين.

ذهب الشيخ إلى الجامع، وذهبت معه. فلما دخل الجامع وأحرم، رأيت الأولياء يتساقطون عليه، فلما أصبحنا وخرجنا من الجامع قال الشيخ:

ما كانت البارحة إلا ليلة عظيمة، وكانت ليلة القدر ورأيت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول:

ياعلى طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس.

قلت يارسول الله:

وما ثيابى؟

قال: اعلم ان الله قد خلع عليك خمس خلع: خلعة المحبة، وخلعة المعرفة، وخلعة التوحيد، وخلعة الايمان، وخلعة الاسلام.

فمن أحب الله هان عليه كل شىء.

ومن عرف الله، صغر لديه كل شىء.

ومن وحد الله لم يشرك به شيئا.

ومن آمن بالله آمن من كل شيء.

ومن أسلم لله قل ما يعصيه، وإن عصاه اعتذر إليه، وان اعتذر إليه قبل عذره.

ففهمت حينئذ معنى قوله عز وجل:

«وثيابك فطهر».

رحلة أولياء الله فى مصر المحروسة

١٢

كرامات أولياء الله بين المصدقين والمنكرين

التمساح يسمع كلام الدسوقى ..
والسباع تستقبل سيدى الرفاعى !

الدسوقى يخرج من المقبرة لاستقبال الزوار !

والرفاعي يرفض الرضاعة من مرضعة علي غير وضوء !

ويتواصل حديث الكرامات..

ونتابع تلك الكرامات المثيرة، العجيبة، التى نسبها الأتباع والمريدون لسيدى ابراهيم الدسوقى، وسيدى أحمد الرفاعى.

وهى كرامات تكشف عن الافتراءات التى اصطنعها الأتباع والمريدون لاثنين من كبار الأقطاب، كانت تعاليمهما لتلاميذهما تقول فى وضوح:

طريقنا دين بلا بدعة.

وهمة بلا كسل.

وعمل بلا رياء.

وتمسك بكتاب الله والسنة المطهرة.

ونبدأ بسيدى ابراهيم الدسوقى.

والحديث عن كرامات سيدى ابراهيم الدسوقى يطول إذا نحن عددنا الكرامات التى اختلقها بعض أتباعه ومريديه ونسبوها إليه، فافتروا بها على شيخهم الذى كان ينبه إلى عدم الوقوع فى هذه الادعاءات..

يذكر النبهانى فى كتابه «كرامات الأولياء» أن الشيخ ابراهيم الدسوقى كان يقول لأتباعه ومريديه ان أخص الخواص جعلوا من زواياهم قلوبهم، ولبسوا تقواهم وخوفهم من ربهم ومولاهم، قد رفضوا الكرامات، ولم يرضوا بها، وخرجوا عنها لعلمهم أنها من

ثمرة أعمالهم، فلم يطيروا فى الهواء ولم يمشوا على ماء، ولم يسخر لهم الهواءو ولم تبصبص لهم الأسود، ولم يضربوا أرجلهم بالأرض فينفجر الماء، ولا لامسوا مجذوبا ولا أبرص فبرىء، ولا غير ذلك، فخرجوا من الدنيا وأجورهم موفورة كاملة رضى الله عنهم أجمعين.

ورغم هذا الذى قال الشيخ الدسوقى فإن بعض أتباعه نسبوا إليه الكثير من الأساطير ومنها تلك الأسطورة التى أوردها المناوى فى كتابه الكواكب الدرية والتى تقول: ان من كرامات ابراهيم الدسوقى إن التمساح خطف صبيا فجاءت أمه مذعورة إلى الدسوقى، فأرسل نقيبه فنادى بشاطىء البحر «يامعشر التماسيح، من ابتلع صبيا فليطلع به» فطلع التمساح ومشى معه إلى الشيخ، فأمره الشيخ أن يلفظه فلفظه حيا، وقال للتمساح مت بإذن الله فمات!

●ويروى صاحب كتاب «نور الابصار» العديد من الكرامات المنسوبة لابراهيم الدسوقى فى حياته وبعد مماته..

ومن هذه الكرامات أن أحد الصالحين قصد قبره للزيارة.. فوجد الشيخ ابراهيم الدسوقى يقف على القبر، وأخذ يُعلمه هذا الدعاء الذى اشتهر بعد ذلك عنه.

قال: باسم الاله الخالق الأكبر.. وهو حرز مانع مما أخاف منه وأحذر.. لا قدرة لمخلوق مع قدرةالخالق.. يلجمه قوته.. «احمى حميثا».. «اطمى طميثا».. وكان الله قويا عزيزا.. «فسيكفيكهم» الله وهو السميع العليم، ولا حول ولا قوة إلا الله العلى العظيم..

وقال ابراهيم الدسوقى له: ادع بهذا الدعاء ولا تخف من شىء.

فسأل الرجل شيخه الدسوقى عن معنى «أحمى حميثا و«أطمى طميثا».. فأجابه بانها كلمات سريانية.. وأن معنى «أحمى» هو: يا مالك.. و«حميثا» الملكة.. أما قوله «أطمى» فهو بمنزلة من

يصفه تعالى بالعظمة والكبرياء والقهر والغلبة والعز والانفراد فى ذلك كله.. و«طميثا» هى اشارة الى الاشياء التى يتصرف فيها، والى الممكنات التى يفعل فيها ما يشاء، ويحكم ما يريد سبحانه لا إله إلا هو..

وقال ابراهيم الدسوقى ان فى كل من العبارتين سرا عجيبا يعجز القلم عن تبليغه..

ويأتى الحديث عن كرامات سيدى أحمد الرفاعى.

والكرامات المنسوبة لسيدى احمد الرفاعى كثيرة جدا، وغريبة جدا.

ومن هذه الكرامات ان الرفاعى تعرض يوما لو شاية من بعض الحاقدين الذين قالوا للخليفة العباسى المستضىء بالله ان مجلس الرفاعى ليس مجلسا للخير والطاعة والذكر، وانه يشتمل على مفاسد كثيرة منها الجمع بين الرجال والنساء، وأنواع الطرب والملاهى، فاغتاظ الخليفة ونادى على احد الحجاب واسمه عماد الدين وأمره بأن يحمل قربة مملوءة بالشراب «الخمر» ويذهب ليقدمها للرفاعى وهو فى مجلسه ويقول له: «ان الخليفة قد سمع أن فى مجلسكم يجتمع الاناث والذكور، وتزخرفون المجلس بالطرب والآلات، وقد أراد ان تتمموا المجلس بالشراب، وها هو قد أرسلته لكم».

ووصل الحاجب بقربة الشراب الى الرفاعى وهو فى مجلسه، وقبل ان يتكلم الحاجب فوجىء بالرفاعى يقول له: لقد جئت يا عماد الدين بالشراب فكن أنت الساقى واملأ القدح وناوله لى..

وامتثل الحاجب عماد الدين لأمر الشيخ الرفاعى، وتناول القدح وفتح فم القربة وأخذ يصب الشراب ففوجىء بأنه من العسل المصفى! فصاح ورمى بنفسه على أقدام الرفاعى وقال: أنا من خدامك يا سيدى»

●●●

وقيل أن أحد مشايخ البطائح جاء الى الامام الرفاعى راكبا على أسد وبيده حية يلعب بها، فقال لى الرفاعى اذا كان فعلك هذا ليعتقد الناس فيك فالاعتقاد مليح غير أنه قد ينتج العجب وتضيع أنت حينئذ، وأشار الرفاعى الى الحائط الذى أمامه أن يتحرك من مكانه فتحرك! فخجل الرجل وتاب واستغفر.

وقيل ان فقيرا من فقراء سيدى أحمد الرفاعى قصد الحج الى بيت الله الحرام، وبينما هو سائر مع ركب الحجيج أحس بشدة البرد حتى كاد يهلك، فنادى بأعلى صوته مستغيثا وقال: يا سيدى أحمد الرفاعى ادركنى فان البرد أهلكنى.

وكان سيد أحمد الرفاعى نائما فى خلوته وعنده أحد المريدين واسمه سيدى مجرد الأكبر، وسمع المريد صوت الاستغاثة، فرمى بالشملة التى على رأسه فى الهواء، فطارت ووصلت الى الفقير الذى استغاث من شدة البرد!

ويروى الشيخ الزنكى، وهو من المريدين، أنه توجه مع سيدى الرفاعى الى محطة القاسمية، وهناك خرج عليهما أربعة عشر سبعا وأخذوا - أى السباع - يقبلون أقدام الرفاعى!

وقال الشيخ الزنكى أنهما توجها بعد ذلك الى ساحل البحر، وأن الاسماك خرجت هى الأخرى من الماء ورمت بأنفسها على أقدام الرفاعى!

ويروى الشيخ ابراهيم الأعزب، وهو من المريدين الذين كانوا فى خدمة الرفاعى، ان من كرامات سيدى الرفاعى انه صلى صلاة الجمعة ذات يوم فى دمشق الشام، وصلى صبح اليوم التالى «أى السبت» فى طور، وصلى صبح الأحد بالبيت المعمور، صلى صبح الاثنين بالمدينة المنورة، وصلى صبح الثلاثاء فى جامع بعلبك، وصلى صبح الأربعاء فى بيت المقدس، وصلى صبح الخميس بمكة المكرمة!

ويضيف الشيخ ابراهيم الأعزب الى ذلك قوله: وكان حاله على هذا الترتيب دائما!

●●●

ويروى الشيخ ابراهيم الأعزب ايضا عن كرامة أخرى أكثر عجبا يقول: كنت عاشر عشرة من الفقراء الذين ذهبوا للحج مع سيدى الرفاعى، فصلى بنا الصبح وصلاة العيد بمكة، وكنا نطوف معه البيت ثم توجهنا الى عرفات فرأينا الخضر عليه السلام مع سبعة من الرجال فسلموا على السيد الكبير الرفاعي وجلسوا جميعا، فلما تم «المجلس بتمام النهار قال الخضر عليه السلام يا أبا الصفاء «أى يارفاعي» قد جاءتك من جانب الحق تعالى «خرقة وتاج» فاقبلهما والبس التاج. وكان ذلك التاج من القطن الأبيض واسمه «طاقية» أما الخرقة فكانت متعددة الألوان، فيها قطعة من قطن، وقطعة من صوف الغنم، وقطعة من شعر الماعز، وقطعة من الجلد، وقطعة من الحرير، وكانت الألوان منها العسلى، ومنها الأحمر، والأزرق الصافى والكحلى، والأسود.. وسأل الرفاعى الخضر عليه السلام عن سبب اختلاف هذه الألوان التى بهذه الخرقة فقال له الخضر: انها اشارة الى ان الله تعالى جعلك أعلا مقاما من سائر المشايخ وان زينة مشيختة جامعة لسائر رتبهم، وأرسلها تشريفا لك واشارة الى أن عسكر فقرائك أكثر من فقرائهم، ومر يديك أكثر من مر يديهم، وأنه أجاز لهم أن يلبسوا أى شىء أرادوه من الخرق على أى لون أرادوه، وهذا الشىء خاص بهم دون غيرهم.

وكل هذا الكلام الغريب عن كرامات سيدى أحمد الرفاعى، التى يرويها المريدون، وغيرها كثير، قد أورده كتاب النجم الساعى فى مناقب القطب الكبير الرفاعى الذى وضعه عبدالله العيدروس، وهو

مخطوط فريد محفوظ بدار الكتب المصرية وكان مصدرا هاما بكثير من الباحثين الذين اهتموا بدراسة حياة سيدى أحمد الرفاعى.

●●●

والمثير للدهشة ان العيدروس لم يقف عند الكرامات التى نسبت للرفاعى بعد أن كبر وصار رجلا، وحصل من العلوم الكثير على يد الشيوخ، الذين تتلمذ عليهم، وانما أورد العديد من الكرامات التى نسبت الى الرفاعى وهو طفل رضيع!

ومن هذه الكرامات أنه حين شرعت أمه فى ارضاعه أعطته ثديها الأيمن فقبله وأبى أن يشرب منه! وكانت له مرضعة صالحة عفيفة أعطته يوما ثديها فلم يشرب منه وأعرض عنه على غير عادته، ونظروا فى الأمر، وبحثوا وفحصوا فوجدوا ان المرضعة بلا وضوء! فلما توضأت اقبل عليها وشرب من لبنها!

ومن الحكايات الغريبة التى أوردها العيدروس، ان رجلا عالما بعلم الشريعة، من علماء البصرة، سمع بأن شيخا ظهر فى «أم عبيدة» يقال له سيدى أحمد الرفاعى وانه له كرامات خارقة، ولكن مجلس ذكره يحصل فيه الصياح والصراخ وقت الذكر فأنكر ذلك على السيد الرفاعى واستبعد ان يكون مثل ذلك فى مجلس الشيخ خصوصا الأولياء، فعزم على الوقوف على الأمر بنفسه والتأكد منه، وتوجه من البصرة الى «أم عبيدة» وقابل الرفاعى وجلس معه وأخذ فى مشاهدة مجلس الذكر، فلما استغرق الذاكرون فى الذكر، وحصل لهم من الوجد ما حصل، اعترتهم أحوال المحبة والمشاهدة فكان منهم الصياح والصراخ،

فقال الرجل للسيد الرفاعى ان هذا لا يجوز شرعا، وهذا حرام.

ورد عليه السيد الرفاعى وقال: يا رجل لا تقل الجهالة عندنا، أنت مالك خبرة ولا عندك معرفة بهذه الأحوال التى تعترى

الفقـراء، فانهم ما يفعلون الـبكاء والصياح الا عن قلوب محـروقة بأسنة المحبة وسـيوفها، والذى لا يسرى به جرح مـا يصيح، فهم معذورون.

ولم يقتنع الرجل.

وأطلق الرفاعـى صيحـة عظيمـة، فسمـعوه فى مجـلس الذكر وتوقفوا، وجاء اليه، فطلب من أحدهم واسمه بطاوس المجنون.

وعندمـا اقـترب بطـاوس المجنون من الرفـاعى اطلق صـيحـة عظيمة ومد يده فى اتجاه البصرة وكأنه يضرب أحدا يراه!

وشاهد الرجل الجـالس الى جوار الرفـاعى ذلك فازداد انكاره للصياح والصراخ وقال «كل هذا رياء وبهتان».

فقال الرفاعى لبطاوس المجنون: اخبر الرجل عن سبب صياحك الآن.

فقـال بطاوس المجنون موجـها حديثـه للرفاعى يا سـيدى هذا الرجل الجالس عندنا له بنت تركـها مع أمها التى هـى زوجته فى البصـرة.. وقد ذهب مملوك الى البيت ورأى البنت جالسـة وحدها فحدثته نفسه الخبيثة أن يعتدى عليها، فصحت هذه الصيحة غيره عليـهـا وضـربت رأس المملوك بيدى فكانت سـيـفـا بقـدرة الله فانقطعت رأسه(!) وقد فعلت ذلك حماية للرجل الجالس معكم(!)

فاسـتغرب الرجل لهـذا الكلام، وأنكره، وقال «لا أصـدق حتى أرى بعينى».

فقال له بطاوس المجنون: ارفع رأسك، وانظر فى هذا الاتجاه!

فرفع الرجل رأســه ونظر فى الاتجاه الذى أشـار اليه بطاوس المجنون، فرأى ابنته ورأى رأس المملوك المقطوعة! فصاح.

وقـام فتـوجه الى البـصرة، وتـأكد من صـدق كل ما قـاله له بطاوس المجنون، فتعجب وزال انكاره وقوى حبه لسيدى الرفاعى، وازداد اعتقاده.

وعزم الرجل على الرجوع «لأم عبيدة» وزيارة سيدى الرفاعى، وعندما جاء، دخل على سيدى الرفاعى وأخذ يقبل يديه ورجليه وصار بعد ذلك من أكبر المريدين!

السلطان قايتباى.. يقبل أقدام سيدى الطشطوشى!

وفى ضريح السيد البدوى «حجر» فيه أثر لقدم وتزعم العامة أنه قدم النبى صلى الله عليه وسلم عندما حضر فى احدى المرات لزيارة السيد البدوى!

وهناك من يقول انه أثر قدم السيد البدوى نفسه! وان هذه كرامة من كراماته!

فالشيخ عبدالصمد يذكر فى كتابه الجواهر السنية فى المناقب الأحمدية ان من كرامات سيدى أحمد البدوى هذا الحجر الأسود المثبت فى ركن قبته تجاه وجه الداخل من الجهة اليمنى وفيه موضع قدمين شاع بين الناس وذاع وملأ البقاع والاسماع أنه اثر قدمى رسول صلى الله عليه وسلم. وكل من زار السيد البدوى يتبرك بموضع القدمين».

ويمضى الشيخ عبدالصمد فى روايته عن هذا الحجر فيقول: «وقد سعى جماعة عند بعض السلاطين فى اخراجه من موضعه ونقله الى السلطان ليتبرك به.

وأرسل السلطان جماعة من الجند يأخذون الحجر، فلما هموا بقلعة صار الحجر مما لا يقدر أحد أن يأخذه وهو على الهيئة التى كان عليها قبل ذلك فخافوا وتركوه فى موضعه الى وقتنا هذا، وهذه كرامة عجيبة»!! هكذا يقول الشيخ عبدالصمد.

والحجر الموجود فى قبة السيد البدوى ليس الوحيد من نوعه فى مصر، فهو واحد من أربعة أحجار يعتقد العامة ان فيها البركات وأن من يتبرك بها يشفى من الأمراض!

والحجر الثانى هو الحجر المعروف بأسم «اثر النبى» وهو

حجر فيه أثر قدمين: محفوظ فى حجرة صغيرة مطلة على النيل وملاصقة للحائط الغربى لمسجد معروف باسم مسجد «أثر النبى» وعلى هذه الحجرة قبة.

وفى حائطها الجنوبى محرابان الصق بأحدهما هذا الحجر، وقد أطلق اسم «أثر النبى» على الشارع الموصل الى المسجد فى مصر القديمة وكان شاطىء النيل فى تلك المنطقة يعرف بساحل أثر النبى.

والحجر الثالث هو حجر «البرنيل» وهى قرية شرقى النيل، وهناك عند سفح الجبل يوجد مقام يقال انه مقام «سيدى أويس القرنى» وفى شرقى هذا المقام يوجد حجر صلب فى الجبل به أثر قدم تزعم العامة أنه قدم النبى!

أما الحجر الرابع فهو حجر قايتباى ، وهوحجر أسود به أثر قدمين، موضوع بجوار القبر الذى اعده لنفسه السلطان الأشرف قايتباى المحمودى، فى حجرة واسعة ذات قبة شاهقة ملاصقة لمسجدة الذى بناه بمنطقة الصحراء المعروفة باسم قرافة المجاورين، وقيل ان السلطان قايتباى اشترى هذا الحجر بعشرين الف دينار وأوصى بوضعه عند قبره!

وكان السلطان قايتباى كغيره من سلاطين المماليك يعتقدون فى كرامات الأولياء والصوفية ويسعون لنيل البركات منهم.

ويذكر المؤرخ ابن اياس ان السلطان قايتباى كان يزور سيدى احمد البدوى ويتبرك به، كما كان يزور ايضا سيدى ابراهيم الدسوقى ويتبرك به.

●●●

ويروى لنا ابن اياس حكاية غريبة ومضحكة توضح كيف كان البعض يحتال على السلاطين ايضا، وليس العامة فقط، مستغلا اعتقادهم فى بركات الأولياء والصالحين.

والحكاية التى يرويها ابن اياس هى حكاية السلطان قايتباى مع الشيخ الدشطوطى الذى يعرفه العامة باسم «الطشطوشى» وهو صاحب المسجد الذى يحمل هذا الاسم فى منطقة باب الشعرية بالقاهرة.

ويصف ابن اياس هذه الحكاية بأنها من الحكايات النادرة!

يقول ابن اياس ان الشيخ الدشطوطى ولد فى قرية «دشطوط» بمحافظة بنى سويف، وانه كان شافعى المذهب، عاش ناسكا زاهدا لا يأكل من الطعام الا قليلا وكان غذاؤه من القراقيش. ولم يكن يهتم بمظهره، وكان يسير دائما مكشوف الرأس لا يحلق شعره ويلبس جبة خشنة.

ويقول ابن اياس أن شخصا اسمه عبدالقادر بن الرماح كان قريبا من السلطان قايتباى فاخذ يحدثه عن الشيخ الدشطوطى وكراماته وانه من عباد الله الصالحين..

فطلب السلطان الاجتماع به..

فقال له ابن الرماح ان الشيخ الدشطوطى يتردد على جامع بالقرافة تحت جبل المقطم..

فطلب السلطان ان يخبروه عندما يحضر الشيخ الدشطوطى إلى الجامع ليذهب إليه بنفسه ويسأله الدعاء والبركات..

واراد ابن الرماح أن يتكسب من هذه العملية وأن يحتال على السلطان.. فأتى بشخص يشبه الشيخ الدشطوطى وجعله ينتظر فى الجامع بعد صلاة العشاء.. وطلب منه أن يتعفف عندما يقدم له السلطان المال..

وذهب ابن الرماح إلى السلطان قايتباى واخبره بأن الشيخ الدشطوطى موجود بالجامع.. فذهب السلطان إلى الجامع راكبا فرسه.. ونزل.. ودخل الجامع واتجه إلى الرجل الذى أشار إليه ابن الرماح.. فوجده جالسا القرفصاء ورأسه بين يديه.. وأخذ

السلطان يقبل يدى الرجل وقدميه طالبا بركاته والدعاء له.. وقدم له كيسا فيه ألف دينار.. ووضعه إلى جانبه..

وتظاهر الرجل بالتعفف عن قبول المال.. وقال للسلطان دون أن يتطلع إليه.. انه لا يريد المال.. وان الفقراء هم احق به.. وخرج السلطان من الجامع وهو مسرور بلقاء الشيخ الدشطوطى..

لكنه اكتشف الملعوب بعد أيام..

فأمر بالقبض على ابن الرماح والرجل الأخر الذى خدعه وقام بتمثيل دور الشيخ الدشطوطى..

وخرج المنادون ينادون فى الشوارع للقبض على النصاب شبيه الشيخ الدشطوطى الذى احتال على السلطان..

وقبضوا عليه..

وضرب الرجلان.. ابن الرماح وشريكه بالمقارع، امام السلطان..

واراد السلطان ان ينتقم من ابن الرماح الذى كان السبب.. فأمر بأن يحلقوا له ذقنه.. وان يضعوه فوق حمار.. وان يطاف به فى الشوارع.. ثم سجنه إلى أن مات..

والتقى السلطان قايتباى بعد ذلك بالشيخ الدشطوطى.. وكان هو الذى بنى له الجامع والقبة التى دفن تحتها..

وقد وصف على مبارك جنازة الشيخ الدشطوطى فقال: إن القاهرة قد ارتجت لوفاته وان السلطان نزل لجنازته ومعه الامراء والقضاة الاربعة واعيان الناس.. ورفعت الاعلام وحضر اطفال الكتاتيب وعلى رؤوسهم المصاحف ومشوا حول الجنازة وكان عمره نحو ثمان وثمانين سنة.

رحلة أولياء الله
فى
مصر المحروسة

١٢

موالد الأولياء ورأى الفقهاء

حكاية العبد الصالح
مع سيدنا موسى
التى يرويها الشيخ الشعراوى

الشيخ الدسوقى :

إحياء ذكرى الصالحين
للاقتداء بهم أمر محمود

فى رحاب السيدة نفيسة رضى الله عنها، كان اللقاء مع الشيخ الشعراوى وكان الحديث:

● ونسأل الشيخ:

ماذا يقول عن الموالد التى نحتفل بها فى مصر.

«موالد» أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم.

و«موالد» أولياء الله؟

ويقول الشيخ: نحن لا نتكلم عن «الموالد».. لكن الذى يهمنا هو ما يحصل فيها..

وما دام مفيش خلاعات.. ولا خروج.. يبقى خلاص.

ما دامت كلها ذكر وصلاة على النبى.. يبقى خلاص..

وقال الشيخ: بعض البلاد العربية لا تعترف بذلك.. حتى أنهم كانوا يقولون أن الموالد التى نعملها ليست واردة.

وأنا قلت لهم: نحن لا نأخذ المسألة من حيث فكرة المولد.. بل ما يحدث فى المولد.

إن كان لا يحدث فيه غير الطاعة.

فهاتوا لى دليل لمنع الطاعة..

هاتوا لى دليل لمنع الطاعة فى أى وقت.

●●●

وقال الشيخ:

هناك من يقول أيضا لماذا تحتفلون بمولد النبى صلى الله عليه وسلم..

وأقول لهؤلاء: إن النبى أول من احتفل بمولده..

لأنه لما سئل «بتصوم يوم الاثنين ليه؟» قال: «ذلك يوم ولدت فيه»..

فكأنه يكرم اليوم الذى ولد فيه..

والسؤال هو: كيف أحياه؟

هذا هو السؤال..

ثم أن الذى يحرم أى ذكر فى أى وقت لازم يجيب لى دليل «التحريم» وليس دليل «التحليل».. لأن الاصل فى الشىء هو «الحل».

●●●

وعاد الشيخ للحديث عن «الموالد»..

وقال: مادامت كلها ذكر وصلاة على النبى.. يبقى خلاص..

إنما كون أن هناك أشياء بتحدث فيها «موش مضبوط».. نبقى نتكلم فى هذا الشىء غير المضبوط لمنع حدوثه..

وقال: السؤال المطروح هو: ماذا يحدث فى المناسبة.. وليس عن المناسبة ذاتها..

وأقول ثانية: هات لى دليل يحرم الطاعة فى أى وقت؟

●●●

●وعن «الموالد» أيضا نورد رأى الشيخ إبراهيم الدسوقى وزير الأوقاف الأسبق.. يقول:

إن احياء ذكرى الصالحين بتعداد مآثرهم والدعوة للاقتداء بهم وبأفعالهم أمر محمود ولا بأس به وحبذا لو أننا قدمنا لأبنائنا فى هذه الذكريات النماذج الطيبة من الاخلاقيات والسلوك لمن نحتفى

بذكراهم حتى يتأسوا بها ويتعرفوا عليها.

على أنه فى كل أمة رجال هم بناة أمجادها الروحية والمادية، فكما نحتفى بالأبطال الذين حققوا لأمتهم نصرا عسكريا، علينا أيضا أن نحتفى بذكرى أولئك الذين قادوا أمتهم إلى ما يوصلها إلى مرضاة الله خالقهم ورازقهم، وبناء حياتهم البناء الروحى الصالح، وتأسيس بناء المجتمع على الايمان بالله وعلى تقوى الله ورضوانه، فذلك خير لبقاء هذه الأمم سوية قوية عزيزة شامخة البنيان مرفوعة الذرا.. فإذا شاب الاحتفال شىء يخالف سلوكيات الاسلام واخلاقياته، فبدلا من أن نمنع أمرا نحن محتاجون إليه، وأبناؤنا وشبابنا أحوج ما يكونون إلى التعرف عليه، علينا أن نعمل جاهدين على القضاء على كل ما يتنافى مع تعاليم الاسلام وأن نجند كل الأجهزة التى تنشر على الأمة شبابها وشيوخها ورجالها وكهولها.. الدروس المستفادة من سيرة أولئك الأبطال، فذلك خير وأقوم سبيلا.

●●●

وفى رأى الدكتور الحسينى أبوفرحة أستاذ التفسير بجامعة الأزهر يقول: من المؤكد أن هناك أشياء تحدث فى الاحتفالات بذكرى الصالحين ليست من هدى الاسلام ولا يقرها المسلم الغيور على دينه، وهى انحرافات يجب تقويمها ومنعها وذلك مثل اختلاط الرجال بالنساء ، وفى مجالس الذكر أشياء لا يقرها الاسلام مثل استعمال المزمار وما إلى ذلك أثناء ذكر الله عز وجل.. وهناك أيضا الادعياء والدخلاء الذين يحضرون الموالد لمجرد الكسب المادى فيقدمون أنواعا من اللهو السخيف يبتزون به أموال المسلمين.

وقال: إن واجب الدولة أن تمنع هؤلاء من الزحف على ساحات

الموالد حتى تكون الاحتفالات بذكرى الصالحين نظيفة من كل ما يشوه جمالها واثرها فى مواسم دينية للاجتماع على ذكر الله عز وجل فى حدود ما شرع الله، وهى أيضا فرصة لاطعام الفقير والمحتاج، وفرصة لدراسة تاريخ هذا الصالح المحتفى به، ودراسة تاريخ الصالحين فيه ما يحفز الهمم لمتابعتهم والعكوف على طاعة الله والبعد عن معاصيه تأسيا بهم.

عن الخلوة ؟

● ونعود إلى الشيخ الشعراوى..

ونسأله: ماذا يقول الشيخ عن «الخلوة»؟

هناك من يقول أن «الخلوة» لم تكن موجودة أيام النبى؟

ويرد الشيخ على السؤال بسؤال:

وهل من المعقول على أيام النبى.. أن يكون هناك من يفكر فى ترك النبى ليذهب ويختلى عنه؟

غير معقول طبعا..

فالناس كانت تتهافت عليه..

و«الخلوة» لم تعرف ولم توجد إلا «أيام الفساد».. فالناس بتبتعد لأنها تجد نفسها غير قادرة على مواجهة الفساد..

وقال الشيخ: ما معنى خلوة؟

معناها البعد عن مؤثرات الفساد..

ولما تقول لى انها لم تكن موجودة أيام النبى.. أقول لك طبعا لم تكن موجودة.. لأنه من هو الذى سيترك النبى ويفكر فى الخلوة؟

عن المساجد التى بها أضرحة ؟

●ويتواصل الحديث..

●ونسأل الشيخ:

●ماذا عن الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة أو قبور؟

ويقول الشيخ: سئلت هذا السؤال كثيرا.. وقلت.. لعن الله بنى اسرائيل لأنهم اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد.

فهم اتخذوا من القبر نفسه مسجدا..

لكن نحن لا يوجد عندنا هذا..

القبر عندنا «معزول».. ومحاط بسور نسميه «المقصورة»..

اذن نحن لم نجعل القبر مسجدا..

والاستشهاد بما يفعله بنو اسرائيل هو الخطأ..

فنحن نصلى بعيدا عن المقصورة..

وقال الشيخ: نحن لنا فى المسجد..

النبوى أسوة حسنة..

فنحن نصلى فى الروضة والقبر على يسارنا..

ونصلى فى منزل الوحى والقبر على يميننا..

ونصلى فى الحضرة الشريفة والقبر وراءنا..

ونصلى فى الصفة والقبر أمامنا..

كل هذا و«القبرية» ليست ملحوظة..

وقد مر ذلك على علماء المسلمين من يوم أن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينكر أحد من علماء المسلمين مثل هذا الموقف..

واذا قيل أن ذلك خصوصية لمسجد رسول الله نقول لهم: فيه أبوبكر وفيه عمر..

وقال الشيخ: ومع ذلك فإننى أنصح أن نقوم بعمل باب للمسجد وباب للضريح حتى ننتهى من هذا الخلاف..

عن زيارة أولياء الله؟

●ويتواصل الحديث..

●ونسأل الشيخ: وماذا عن زيارة أولياء الله؟ وهى العادة التى

يحرص عليها الناس فى مصر خاصة الملايين من أهل الريف؟

ويقول الشيخ وهو يضع يده فوق صدره وكأنه يتحدث عن نفسه:

- احنا نشئتنا ريفية..

وطول عمرنا عايشين فى رحاب أهل البيت.. ورحاب الأولياء..

آباءنا وأجدادنا وأمهاتنا واخوتنا.. كلنا عشنا فى رحاب الأولياء..

ما رأينا الخير إلا منهم..

ما عرفنا العلم إلا فى أماكنهم..

ما عرفنا البركة إلا فى اتصال الود بهم..

احببناهم لأنهم موصولون بالله..

جاءنا الخير ممن نؤكد صدقه انهم موصولون بالله..

ولا يعرفهم إلا الناس الذين انكسرت نفوسهم لمنهج الله..

●●●

●وقال الشيخ ردا على الذين يعترضون على زيارة قبورهم ويقولون أنها غير واردة..

قال: كيف تبيحون زيارة القبور لعامة المسلمين.. ثم تحاولون أن تحرموها على من علم عنهم أنهم ناس صالحين؟

ازاى؟ كيف؟

زيارة القبور مأمور بها.. فإذا كان هذا الحق مأخوذ لعامة المسلمين..

فهل آجى لواحد معروف عنه، أو تواتر التاريخ، بأنه رجل طيب، فأحرم زيارة قبره لأنه رجل طيب؟!

هذا كلام غير معقول..

وقال الشيخ: هبه قبرا من القبور أذكر الله عنده..

نحن لا ننتقد الزيارة.. ولكن ننتقد الذى يحدث عنده..

فالذى يطلب منهم شيئا نقول له هذا شرك..

أما أن نطلب الله عندهم فماذا يمنع؟

وقال الشيخ: أنا فى هذا الموضوع، واقسم بالله، لو لم يكن فى الزيارة إلا أنها ملتقى للمنكسرين فى الله لكفى..

لو لم يكن فيها غير أننى ألتقى بالناس الذين أسرفوا على أنفسهم ورجعوا إلى حظيرة الله، ولم يجدوا اعتابا سوى هذه الأعتاب لكفى..

وقال: أنا بأروح ألاقى ناس تركوا الدنيا وضربوها جزمة..

الذى يذهب لزيارة الحسين أو السيدة نفيسة أو السيد البدوى أو إبراهيم الدسوقى.. يستحى بعد ذلك من المعصية، وربما أصبح هذا الاستحياء أمرا يصاحبه طول حياته.

●●●

ويمضى الشيخ فى حديثه عن أولياء الله وعباد الله الصالحين، فيقول:

ـ هناك أمور يقف العقل العادى منها موقف الانكار، لكن حين ينتقل صاحب هذا العقل إلى شىء أعلى من العقل وهو «المواجيد» فهو يقرها..

خذ حكاية العبد الصالح مع سيدنا موسى..

وخذ شهادة الله له فى كتابه «عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما»..

هذا العبد الصالح يقعد ويناقش مع رسول من عند الله..

وهذا العبد الذى أوتى هذه المنزلة من الله يقول لموسى الذى يعترض عليه:

«لن تستطيع معى صِبرا.. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا».

يعني بيعذره.. اذا كان لا يعرف.. «وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا»؟

وفى حتة تانية يقول له: «هذا فراق بينى وبينك»..

يعني لن نلتقى..

وقال الشيخ : وكذلكِ يجب أن يكون خُلُقُ الناس الذين ينتسبون إلى الولاية ، فهم يعذرون الذين لا يصدقونهم لأنهم لم يروا شيئا..

العبد الصالح قال : وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا..

وموسى قال : ستجدنى انشاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا..

وهكذا نرى :

النبى أصبح تلميذا ..

والعبد أصبح أستاذا .. !

الفهـــرس

رقم الايداع ١٠٤٢٩ / ٩٧
الترقيم الدولى
I. S. B. N.
977 - 5152 0 25 - 9


شركة مصر للغزل والنسيج
بالمحلة الكبرى
تقدم: إنتاج متطور من
البدل الرجالى
القميص الرجالى
بالاضافة إلى تشكيلة متميزة من
الأقطان
البيجامات الرجالى
أطقم الملايات
أقمشة اللينوهات
تباع بمحلات القطاع العام والخاص